**مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى**

**ودير الشهيدة دميانة**



يعقوب

أبو الأسباط

الاثنى عشر

**بقلم**

**الأنبا بيشوى**

**مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى**

**ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس**

**مقدمة**

شخصية يعقوب هى مثالٌ ورمزٌ لنا فى **الجهاد**. فإن أبرز عبارة فى حياة يعقوب هى التى قالها الله حين ظهر له وصارعه: "لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ **لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ**" (تك32: 28). وإن كانت حياة يعقوب مملوءة أتعابًا ولكنها أيضا مملوءة بالتعزيات.

وليس معنى جهاد الإنسان أن حياته تخلو تمامًا من الضعف، فقد كان ليعقوب ضعفاته، ولكن أيضًا شُهِد له أنه جاهد مع الله ومع الناس وغلب. فأولاد الله يعبرون الضعفات إلى النصرة، ويعبرون الضيقات فى حياة الغربة ويكلَلَون فى النهاية.

أما يعقوب فى حياته الخاصة فقد تدرج فى عشرته مع الله وتعلم الكثير.. وبعد مراحل كثيرة من التعب والتجارب والضيقات ظهر له السيد المسيح وصارعه وباركه وأعطاه اسمًا جديدًا.

ومن خلال الضيقات التى مرت فى حياة يعقوب تزكى أمام الله، وأصبحت حياته لها قيمتها, لها مذاقة خاصة. فالتجارب والضيقات التى مر بها كانت فى الحقيقة هى مدرسة يتعلم منها الإنسان.

ولقد كانت فى حياة يعقوب أمورًا ترمز للسيد المسيح مثل أن السيد المسيح الذى صارعه طوال الليل قد سمح ليعقوب فى البداية أن يغلبه رمزًا لنسل يعقوب الذى صلب السيد المسيح، الذى سلَّم نفسه لهم بإرادته. ولكنه قام منتصرًا من الأموات، وآمن به كثيرون من اليهود. ولهذا فعندما بارك السيد المسيح يعقوب ضربه على حق فخذه فانخلع رمزًا لقوة السيد الذى قهر اليهود بقيامته المجيدة، مثلما قال معلمنا بولس الرسول: "وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (رو1: 4).

وبين طيات الكتاب المقدس نجد أن الأحداث الضخمة والمتداخلة والتى حدثت على مدى آلاف من السنين، ومع ملايين من البشر كلها تتبلور فى النهاية لكى تُكَوِّن قصة الخلاص فى حياة الإنسان وفى علاقته مع الله. فلا شك أن هذا منتهى الروعة فى الإبداع الإلهى، وفى الإعلان بواسطة الروح القدس.

يمكنك أن تجلس مع نفسك وتراها فى ضوء الكتاب المقدس، وكأن الكتاب المقدس كله بكل ما فيه من أحداث هو أنت. حقًا هذه هى العظمة والروعة فى التدبير الإلهى؛ أن يجد الإنسان نفسه فى الكتاب المقدس كله!!

الرب يجعل هذا الكتاب سبب بركة لكثيرين بصلوات صاحب القداسة البابا شنوده الثالث أطال الرب حياته.

****

**14 نوفمبر 2011م**

**عيد جلوس** **مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى**

**قداسة البابا شنودة الثالث ورئيس دير القديسة دميانة**

**أفرزنى من بطن أمى**

قبل أن يولد يعقوب، قد سبق الله فأنبأ رفقة أمه فَقَالَ لَهَا "فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ **وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ**" (تك25: 23)، ذلك عندما تزاحما الولدان فى بطنها، فذهبت لتسأل الله وقالت: "إِنْ كَانَ هَكَذَا فَلِمَاذَا أَنَا؟"، أى يا رب لماذا أنا هكذا.

"فَلَمَّا كَمُلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ. فَخَرَجَ الأَوَّلُ أَحْمَرَ كُلُّهُ كَفَرْوَةِ شَعْرٍ فَدَعُوا اسْمَهُ عِيسُوَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو فَدُعِيَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ" (تك25: 25-26). ومن هنا جاءت التسمية بالعبرية **יַעֲקֹ֑ב** "يعقوب" أى يتعقب أو يمسك بالعقب.

يعقوب يسعى نحو البركة

لقد طلب يعقوب البركة واشتهى أن ينال البكورية. كان الاثنان –عيسو ويعقوب- فى بطن واحدة. وأخذ عيسو بكورية شكلية، لكن كان من الواضح من لحظة الولادة أن يعقوب يسعى نحو البكورية ونحو البركة باشتياق.

وعندما رجع عيسو من الصيد عاد جائعًا من البرية، وكان يعقوب يطبخ عدسًا، فقال له عيسو اعطنى مما تطبخه لأنى جوعان، أعطنى من هذا الأحمر. فقال له يعقوب: بعنى اليوم بكوريتك. وكأنه يحلم بالبكورية ويتمنى البركة. أما عيسو فقد كان كل ما يشغله هو بطنه وجسده, لذلك أجابه: ماذا لى فى البكورية, بماذا تنفعنى البكورية. مثل أولئك الذين يقولون "فَلْنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنَا غَداً نَمُوتُ" (1كو15: 32).

هكذا باع عيسو البكورية. وقد علَّق معلمنا بولس الرسول على هذه الحادثة فقال: "لِئَلاَّ يَكُونَ أَحَدٌ زَانِياً أَوْ مُسْتَبِيحاً كَعِيسُو، الَّذِي لأَجْلِ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ" (عب12: 16).

معوقات الضعف البشرى

لقد كان الواضح فى حياة يعقوب هو الاشتياق إلى البركة، رغم وجود بعض ضعفات فى حياته، فمثلاً قد تعجل لنوال البركة، رغم أن له وعدًا بها، ولكنه قال يا رب أنا متعجل لأخذ البكورية والبركة.. وربما قال له الله: ولماذا يا حبيبي تتعجل؟ انتظر وأنا أعطيك البركة.

ولقد اهتز إيمان رفقة أم يعقوب أيضًا، فرغم أنها أخذت وعدًا من الله بأنه سيبارك يعقوب، وأن "َكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ"**،** لكنها لما سمعت أن عيسو ذهب ليتصيد صيدًا ليأتى به إلى أبيه إسحاق لكى يباركه، خافت أن يأخذ عيسو البركة!! كيف ذلك يا رفقة؟! هل الله يقول وعدًا ويرجع عنه؟!!

وسمع يعقوب لرفقة أمه، التى أشارت عليه أن يلبس جلود جدى على يديه لأن أخاه عيسو كان مشعرًا. وكانت عينا إسحاق قد ضعفتا، فدخل يعقوب على أبيه، فقال له إسحاق: من أنت؟ قال له: أنا عيسو. قال إسحاق: الصوت صوت يعقوب لكن اليدين يدا عيسو!! ومع هذا باركه وأعطاه كل ما اشتهى قلبه من بركات.

"قَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: تَقَدَّمْ وَقَبِّلْنِي يَا ابْنِي فَتَقَدَّمَ وَقَبَّلَهُ. فَشَمَّ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ. وَقَالَ: "انْظُرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْلٍ قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّداً لإِخْوَتِكَ **وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ.** لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ" (تك27: 26 -29).

اغتَنِمْ الفرصة

عندما عاد عيسو من الصيد ودخل على أبيه مقدمًا الطعام، وعرف ما فعله أخوه يعقوب، احتج عيسو، فقال له إسحاق: يا ابنى ماذا أعمل لك؟! أخوك جاء بمكرٍ وأخذ البركة. ومع هذا باركته، نعم ويكون مباركًا.. وبكى عيسو وقال لأبيه: "أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟" (تك27: 38).. قال له أخوك أخذ البركة. **"نَعَمْ وَيَكُونُ مُبَارَكاً" (تك27: 33)، لأن البركة صدرت من فم الله وأعطيت من يد الله** كما يقول الكتاب: "وَالرَّبُّ أَصْغَى وَسَمِعَ وَكُتِبَ أَمَامَهُ سِفْرُ تَذْكَرَةٍ" (ملا3: 16).

كل كلمة تخرج من أفواهنا وكل تصرف نعمله، به نحدد مسار حياتنا، ونحدد موقعنا فى نظر الله. يقول الكتاب: "لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ" (مت12: 37).

الله طويل الأناة جدًا، ويعطينا فرصًا كثيرة، وكل يوم جديد من حياتنا فرصة أن نبدأ بحياة جديدة؛ تعرف معنى البركة والبكورية, وتعرف معنى المسحة المقدسة, كما يقول معلمنا بولس الرسول: "فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ" (2كو6: 16). ولكن يعود ليحذّر ويقول: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُو" (1كو3: 17). ويقول أيضًا: "وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ" (أف4: 30).

مفهوم البركة

أخذ يعقوب البركة وكان له قصد روحى ثابت، فما هو؟ هو طلب الملكوت, وطلب الوعد بالنسل المقدس أى أن يأتى السيد المسيح من نسله بحسب الجسد.. أما عيسو المستبيح فلم يطلب هذا كله. لكن تُرى، لماذا كان عيسو يبكى؟ لقد كان يبكى من أجل الخيرات الزمنية من حقول ومواشى وأموال سوف يخسرها عندما يفقد البركة.

لكن فى الحقيقة كان للبركة شقان؛ شق منظور وهى البركات الأرضية التى يأخذها من ينال البركة وذلك فى العهد القديم. والشق الغير منظور وهى البركة العظمى أن يستحق مَنْ يأخذ البركة أن يكون من صلبه النسل المقدس الذى منه يأتى المسيح.. هذه هى البركة الحقيقية التى كان إبراهيم فرحًا بها, والتى أخذها إسحاق بوعد, والتى أخذها يعقوب بعد ذلك من فم أبيه إسحاق، وتأكّدت من فم السيد المسيح نفسه حينما ظهر ليعقوب وصارعه طول الليل ثم باركه.

لكن كان لابد من الأتعاب والمشقات والاضطهادات، كما يقول الكتاب: "وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ انْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ" (2تي3: 12). إن كان يعقوب يريد البركة، يقوم ضده أخوه عيسو الذى يشير إلى الجسد. هكذا قال السيد المسيح: "تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلَّهِ" (يو16: 2)، فلابد أن أولاد الجسد أى السالكون حسب شهوات الجسد يضطهدون أولاد الموعد. **لكن ما سر هذا الحقد والغيظ والاضطهاد؟**

إنه هو نفس سر الحقد والغيظ الذى كان فى إبليس عندما رأى آدم فى أحضان الله، بينما وجد نفسه مطرودًا من النعمة. هذا هو الحسد والغيرة والظلمة الكامنة فى القلب..

وقد أوضح معلمنا بولس الرسول أن هذا الصراع يوجد حتى فى نفس الإنسان الواحد فقال: "لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ" (غل5: 17).

إذا كان فى الإنسان نفسه الجسد يضِطهد الروح أحيانًا, كم وكم يكون اثنان أحدهما جسدانى والآخر روحانى؟!!.

الله يعلم من هم الذين له

قبل أن يولد يعقوب وعيسو، وهما فى البطن، قال الرب "أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ" (رو9: 13).. فلماذا؟! لأن الله يحب الذين يطلبون الحياة الروحية، أما الذين يحبون حياة الجسد أى الجسدانيون فليس لهم مكان فى قلب الله، لأن الله روح وهو يطلب السالكين بالروح. "السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ **بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ** لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ" (يو4: 23).

الله يعلم الأمور قبل كونها لأنه كائن فى جميع الأزمنة، ومقاصد الله ثابتة وليس فيها تغيير ولا شبه ظل يدور.. يعلم الأمور قبل كونها لدرجة إنه "َيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ" (رو4: 17). هذه هى طبيعة الله إنه لا يحده زمان. وهكذا الله يعلم الذين له.

الله يعرف من هم الذين يكملون مشيئته ويصنعون إرادته المقدسة يعرف إتجاه أرواحهم وهل ستصنع مشيئته حتى وهم فى بطون أمهاتهم، وأيضًا قبل ذلك بسابق علمه. مثلما قال لإرميا النبى: "قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيّاً لِلشُّعُوبِ" (ار1: 5).

بالنسبة لله هو لا يشاء موت الخاطئ مثل ما يرجع وتحيا نفسه. كما هو مكتوب: "حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ, إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ, بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا.." (حز33: 11). "وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ" (2بط 3: 9). "الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ" (1تي2: 4)... إذا كان الله يريد أن جميع الناس يخلصون **إذن المسألة تتوقف على إرادة الإنسان.**

الدعوة مفتوحة للكل.. إنما الدعوة الحقيقية **هى للذين سبق الله فعرفهم**، وهؤلاء هم الذين يعمل فيهم روح القداسة لأعمال صالحة سبق الله فأعدها لهم من قبل تأسيس العالم. ولكن كل شىء يتوقف على الدعوة الإلهية، وأيضًا على قبول الإنسان لعمل النعمة الإلهية، **لكى يثبت قصد الله من جهة الاختيار.. أما الاختيار نفسه فهو مبنى على سبق المعرفة..**

يقول معلمنا بولس الرسول: "**لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ** سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. والَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ فَهَؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ فَهَؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ فَهَؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضاً" (رو8: 29، 30).

سبق المعرفة أدى إلى سبق التعيين الذى هو الاختيار السابق قبل تأسيس العالم، وسبق التعيين أدى إلى الدعوة، والدعوة أدت إلى التبرير، والتبرير أدى إلى التمجيد. إذن الأساس هو سبق معرفة الله... سبق معرفته بأى أمر؟

أولاً: بقبول الإيمان.

ثانياً: بالسلوك فى الوصية إلى النهاية.

بمعنى أن عبارة "سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي" هذا بناء على سبق معرفة الله. وماذا عرف عنا؟ عرف أننا سنقبل الإيمان، ونسلك فى الوصية إلى النهاية... قال قداسة البابا شنودة الثالث عبارة جميلة جدًا وهى:

**إن سبق معرفة الله لا يلغى حرية إرادة الإنسان**

أحببت يعقوب وأبغضت عيسو!!

بالنسبة ليعقوب وعيسو.. كان الاثنان من نسل إسحاق، إنما هل الاثنان نالا الوعد؟ الاثنان من نسل إبراهيم، ولكن يقول معلمنا بولس الرسول عنهما: "لأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ وَلاَ فَعَلاَ خَيْراً أَوْ شَرّاً لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاِخْتِيَارِ لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو. قِيلَ لَهَا: إِنَّ الْكَبِيرَ يُسْتَعْبَدُ لِلصَّغِيرِ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ" (رو9: 11- 13). **ولكن على أى أساس يكون الاختيار؟**

يكون الاختيار مبنيًا على سبق معرفة الله بقبول الإنسان للدعوة.. إن سبق معرفة الله لإيمان المؤمن وطاعته الإنجيلية وقبوله الأسرار المقدسة هى التى يُبنى عليها سبق التعيين، كما يقول معلمنا بولس الرسول أيضًا: "كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ **سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي** **بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ"** (أف 1: 4، 5).

إذن ليس من جهة ذاتية الإنسان ولكن من جهة عمل الله فى الإنسان. وماذا يقصد بولس الرسول بقوله: "لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو"؟ يقصد أعمال الناموس. فالإنسان يجب أن يتكل على بر الله المعلَن فى ذبيحة الصليب. فالذى يقبل الفداء هو الذى سينال التبرير، أما الذى يسلك حسب أعمال الناموس فقط مثل الختان والذبائح الحيوانية سوف يصدم بحجر الصدمة الذى هو الإيمان بالمسيح.

هنا يثبت قصد الله من جهة الاختيار المبنى على سبق المعرفة المبنى على حرية إرادة الإنسان فى طاعته للدعوة الإلهية، وهذا هو الذى يحدد دعوة الله للإنسان.

إن أقدم علاقة، وأكثر العلاقات دوامًا،

هى علاقة الله بالإنسان00

إنها علاقة أزلية،

حينما كنا فى عقل الله فكرة،

وفى قلبه مسرة00

وهى علاقة أبدية، لأنها لا تنتهى.

فليكن الله بالنسبة إلينا،

ليس فقط الأول، إنما الكل فى الكل0

(قداسة البابا شنوده الثالث)

**بداية طريق الآلام**

بعد أن أخذ يعقوب البركة من أبيه، بدأ يشعر أن بقاءه فى بيت أبيه معناه الموت، إذ يقول الكتاب: "فَحَقَدَ عِيسُو عَلَى يَعْقُوبَ مِنْ أَجْلِ الْبَرَكَةِ الَّتِي بَارَكَهُ بِهَا أَبُوهُ. وَقَالَ عِيسُو فِي قَلْبِهِ: قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي **فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي**" (تك27: 41).

كان هذا شعورًا مريرًا جدًا فى حياة يعقوب. كيف أنه بعد أن أخذ البركة، وقال له أبوه سوف تأخذ كل دسم الأرض وكل بركات الحقل وكل ندى السماء، أى أنه سوف يرث كل ممتلكات أبيه وأرض الموعد وكل شيء.. وفجأة وجد يعقوب أنه مطالَب أن يخرج من كل هذه الأرض ومن كل هذا الميراث لكى يتغرب بعيدًا، ولكى يهرب من وجه أخيه عيسو.

قالت له رفقة أمه: "لِمَاذَا أُعْدَمُ اثْنَيْكُمَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟" (تك27: 45)، فكأنها تقول: أخوك سوف يقوم عليك ويقتلك فأنت تُقتَل، وأما أخوك فيصير قاتلاً، فيطرده أبوه من البيت، وهكذا أفقد اثنيكما، ويتكرر ما حدث فى أيام قايين وهابيل.

ربما تساءل يعقوب: أين البركات والوعود؟!! وكأن الرب يجيبه: تمهل يا يعقوب فكل البركات سوف تأتى فى حينها، **أما الآن فهيا فى طريق المشقات والألم**.

كان ينبغى ليعقوب ألا يتعجل البركات، إذ لابد أن يأخذ أولاً آلامًا وأتعابًا، ويحتمل من أجل البكورية والبركة التى طلبها. ثم يأتى أوان التنعم والراحة فى حينه حسب مشيئة الله.

خرج يعقوب هاربًا

"فَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ وَذَهَبَ نَحْوَ حَارَانَ. وَصَادَفَ مَكَاناً وَبَاتَ هُنَاكَ لأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ. وَأَخَذَ مِنْ حِجَارَةِ الْمَكَانِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ فَاضْطَجَعَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ" (تك28: 10، 11).

خرج يعقوب هاربًا، وترك كل شيء، وذهب مهدَدًا فى حياته إلى برية قفرة.. هرب من أخيه الذى مثل الوحش لكى يواجه وحوش البرية. ومشى فى الطريق ونام على حجر فى وسط برية ليس فيها مأوى.

فى وسط هذه المخاوف العظيمة، وفى وسط هذا الجو القاتل الرهيب؛ مخاوف من ورائه أن يلحقه أخوه ويقتله, مخاوف من أمامه ماذا يعمل فى أرض الغربة, مخاوف من حوله من الوحوش التى تعوا فى البرية.. ونام فى هذا الليل الرهيب، ووضع رأسه على حجر.

تعزياتك تلذذ نفسى

"وَرَأَى حُلْماً وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. **وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا**.." (تك28: 12،13).

أمور فى منتهى العجب.. ففى عمق التجربة وعمق الخوف وعمق الألم تأتى تعزيات الله بكل قوتها وكل عمقها لكى تحيط الإنسان بعناية سامية مقدسة.. وإن كان المرتل يقول: "مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ وَيُنَجِّيهِمْ" (مز34: 7).. فلم يرسل الرب إلى يعقوب ملاكًا واحدًا، إنما كان على السلم جيش من الملائكة لكى تحميه وتطمئنه.

فى ذلك السلم كان يعقوب يرى فى حياته العلاقة بين الله والإنسان، وكان يحمل المسيح حسب الجسد فى صلبه، ولهذا قال له الرب: "وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (تك28: 14). فكان السلم عند الحجر الذى وضع رأسه عليه له معنى كبير جدًا؛ وهو أن يعقوب نفسه هو موضوع هذه الرؤيا أى أنه من خلال يعقوب تُستعلن الأسرار **أن من يعقوب سوف يأتى المسيح حسب الجسد**.

ها أنا معك وأحفظك

هكذا أخذ يعقوب وعدًا أن الله يكون معه ويحفظه وينجيه، ويرجعه سالمًا لكى يرث الموعد الذى سبق الله فوعد به إبراهيم وإسحاق أبويه.. هذه كانت المرة الأولى التى فيها ظهر الرب ليعقوب وكلمه شخصيًا..

وقال له الرب: لا تخف يا يعقوب "أَنَا الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ وَتَمْتَدُّ غَرْباً وَشَرْقاً وَشِمَالاً وَجَنُوباً. **وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ.** **وَهَا أَنَا مَعَكَ وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ. لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ**" (تك28: 13-15).

إن الوعد الذى أعطاه الله ليعقوب عندما قال له أنا معك أحفظك، **هذا الحفظ الإلهى هو معطَى لنا أيضًا بوعد**.. لأن السيد المسيح قال: "وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت28: 20)، وحينما قال "بَلْ شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضاً جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ! **فَلاَ تَخَافُوا**. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ! (لو12: 7)، "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ" (مت10: 30)، "وَلَكِنَّ شَعْرَةً مِنْ رُؤُوسِكُمْ لاَ تَهْلِكُ" (لو21: 18).

وفى كل يوم نصلى المزمور فى صلاة الغروب "إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ حَافِظُ إِسْرَائِيلَ الرَّبُّ حَافِظُكَ. الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ عَنْ يَدِكَ الْيُمْنَى.لاَ تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ وَلاَ الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ. الرَّبُّ يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ. يَحْفَظُ نَفْسَكَ الرَّبُّ يَحْفَظُ خُرُوجَكَ وَدُخُولَكَ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْر"ِ (مز121: 4-8). وكثيرًا ما نتكلم عن حفظ الله لنا وعن ستره وستر جناحيه، وعن حراسته وعنايته المستمرة، فنحن لنا وعد بحفظ الله مثل وعده ليعقوب.

إن كانت العصافير التى تباع بفلسين واحدة منها ليس منسيًا أمام الله.. فكيف لا يعتنى بنا؟!.. لقد قال السيد المسيح: "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ وَلَكِنْ ثِقُوا أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو16: 33).

**معانى روحية فى رؤيا يعقوب**

**فى هذه الرؤيا بسط الرب تدبير الفداء أمام يعقوب، لا فى كل ملئه وإنما فى بعض جوانبه، على قدر ما كان لازمًا وجوهريًا له فى ذلك الحين. وأكّد الرب ليعقوب حتمية تنفيذ الوعد والخلاص، وأنه سيكون حافظًا له حيثما ذهب كحامل للبركة وكموضوع لهذا الوعد**...

ومن الرموز الروحية لسلّم يعقوب نذكر:

أولاً: عودة الشركة بين السماء والأرض

تلك الشركة التى ضاعت بسبب خطية الإنسان الأول، وأعادها السيد المسيح، كان السُلم يشير إلى الطريق الذى يصل بين السماء والأرض.

السُلم أيضًا يشير إلى التدرج لأن فيه درجات، فالإنسان وهو يسعى فى طريق السماء يرتفع فى الدرجات الروحية، ويتدرج فى العلاقة مع الله، لذلك من الممكن أن يرمز أيضًا إلى التدرج فى النمو فى العلاقة مع الله. فإن قلنا السُلم هو الطريق، ففى الطريق تدرج ونمو فى العلاقة مع الله... لكن لماذا كان سلمًا وليس طريقًا أفقيًا؟!

لأن السُلم يستخدم للصعود والنزول. الصعود الذى هو الوصول إلى السماء، والنزول أو التنازل الذى هو الإتيان، أى مجيء السيد المسيح إلى الأرض.

ثانيًا: إشارة إلى التجسد الإلهى العجيب

فالرب الذى فى أعلى السُلم سوف ينزل متجسدًا، كما يقول الإنجيلى: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا" )يو1: 14)، ففى رؤيا يعقوب يقول الكتاب عن السلم: "وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا.." (تك28: 13)، لكن لماذا كان الرب واقفًا على السلم؟ ذلك لأنه ينوى أن ينزل، وهذا إشارة إلى التجسد العجيب.

ثالثًا: إشارة إلى الصلاة المستجابة

فالصلاة هى صلة بين الإنسان والله، وهى شركة أيضًا بين السمائيين والأرضيين. إذ يقول الكتاب عن السلم: "وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا" (تك28: 12). فكان السلم يشير إلى الصلاة التى يحملها الملائكة لله وينزلون بالبركة.

رابعًا: رمز للصليب

الصليب الذى ارتفع عليه السيد المسيح، وصنع به قنطرة لعبور المفديين من الهاوية والظلمة إلى السماء والنور، قنطرة للعبور إذ على هذا السُلم انتقل الآباء الأولون من الجحيم إلى الفردوس، ومتى حدث ذلك؟

بعد صلب السيد المسيح، إذ أنه كما نصلى فى القداس الإلهى ونقول: }نزل إلى الجحيم من قبل الصليب{، وكما يقول معلمنا بولس الرسول أيضًا: "وَأَمَّا أَنَّهُ صَعِدَ، فَمَا هُوَ إِلاَّ إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضاً أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى" (أف4: 9)، إذن الصليب هو الُسلم.

خامسًا: رمز للسيد المسيح نفسه

السلم ليس فقط هو رمز للصليب، إنما هو إشارة ورمز للسيد المسيح نفسه الذى قال: "أَنَا هُوَ الطَّرِيق" (يو14: 6). والطريق إلى السماء هو السُلم الروحانى، لهذا قال السيد المسيح: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" (يو14: 6).

وعندما عُلق السيد المسيح على الصليب صارت صورته هى نفس صورة الصليب، أو أن الصليب قد أخذ قوته وفاعليته من السيد المسيح المصلوب عليه. وقد قال السيد المسيح: "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ" (يو12: 32)، وقال أيضًا: "مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي **أَنَا هُوَ**" (يو8: 28).

فعندما قال الكتاب إن الرب واقف على السُلم كان هذا رمزًا أن السيد المسيح عُلق على الصليب ولكنه كان يقف على الصليب على مسمار قدميه عندما كان يتنفس. وإن كان الصليب نفسه هو وسيلة لخلاص البشرية، فهو أيضًا طريق السماء بالنسبة لكل إنسان.

سادسًا: رمز للسيدة العذراء

السيدة العذراء والدة الإله، هذه التى قال لها الملاك: "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لو1: 35)، ولهذا نقول فى التسبحة }شُبِّهت بالسُلم الذى رآه يعقوب مرتفعًا إلى السماء والرب المخوف عليه{ لحن Aretenqwn; (أرتين ثونتى) فى ثيؤطوكية يوم السبت. والكنيسة تلقِّب السيدة العذراء بأنها هى باب السماء، كما نصلّى فى صلاة الساعة الثالثة }يا والدة الإله أنت هى باب السماء، افتحى لنا باب الرحمة{.

**لكن لماذا كان السلم يرمز إلى السيدة العذراء؟** لأنها هى السلم الذى نزل عليه السيد المسيح لكى يتجسد بين البشر، كما يقول الكتاب: "هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ، الَّذِي تَفْسِيرهُ **اللهُ مَعََنا**" (مت1: 23)، فكيف يكون الله معنا؟ وأين السلم الذى نزل عليه؟

لم يكن ممكنًا أن الله الكلمة يأخذ طبيعتنا بالحقيقة إلا إذا تجسد من العذراء مريم. من أجل ذلك تقول عنها الكنيسة فى مجمع القديسين: }القديسة الممتلئة مجدًا، العذراء كل حين والدة الإله، **التى ولدت الله الكلمة فى الحقيقة**{، هو الله الكلمة فى الحقيقة. كما أنها أيضًا ولدته فى الحقيقة أى فى تجسد حقيقى. وكان الاتحاد بين اللاهوت والناسوت اتحادًا حقيقيًا، أى أن كل الأمور حقيقية.

سابعًا: رمز للكنيسة

الكنيسة التى هى **بيت الله** وبيت الملائكة، لهذا قال يعقوب حينما استيقظ بعد الرؤيا: "حَقّاً إِنَّ الرَّبَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!.. مَا هَذَا إلاَّ **بَيْتُ اللهِ** وَهَذَا بَابُ السَّمَاءِ!" (تك28: 16، 17). وصار اسم ذلك المكان "**بيت إيل**" أى "**بيت الله".**

فى الكنيسة وعلى المذبح الإلهى يكون السيد المسيح حاضرًا بذبيحة نفسه أى جسده ودمه الأقدسين. وبتناولنا من الذبيحة الإلهية نرتفع إلى السماء، ونستحق الحياة الأبدية لغفران خطايانا. كما أن السماء تكون حاضرة بحضور السيد المسيح نفسه فى سر الإفخارستيا بجسده ودمه الحقيقيين. ففى الكنيسة تكون السماء حاضرة على الأرض، وترتفع الأرض إلى السماء، وهكذا يكون السلم منصوبًا.

السيد المسيح حاضرًا فى وسطنا، فإما أن تكون الأرض قد تحولت إلى سماء، أو أن السماء قد أتت وحلّت على الأرض، والسيد المسيح يأتى ومعه ملائكته كما يليق بكرامة الملك.

وفى طقس الكنيسة الأصلى فى أول الأنافورا؛ قبل أن يصلى الكاهن ويقول }الرب معكم... ارفعوا قلوبكم{ فى بداية القداس الإلهى بعد صلاة الصلح، يجب أن تُغلَق أبواب الكنيسة، لأن الكاهن عندما يقول للشعب ارفعوا قلوبكم، فيجيبونه: }هى عند الرب{.

من هذه اللحظة إلى نهاية القداس الإلهى حيث يتم صرف ملاك الذبيحة، لابد أن تُغلَق أبواب الكنيسة، ولا أحد يدخل أو يخرج. لأن الكنيسة تكون فى حالة روحية سامية جدًا فيما يشبه الاختطاف الروحى. فمن خرج فى تلك الفترة فيكون كأنه انحدر من على هذا السلم الروحى وسقط من علوٍ سامٍ. وهذا ممنوع من الناحية الطقسية (إلا لسبب قهرى).

وكأنها طائرة تحلق فى علو السماء، فمن تجاسر وفتح بابها ليخرج منها كانت هذه نهايته إذ يسقط محطَمًا. هكذا تكون الكنيسة فى حالة تحليق روحى فى السماويات..

إذن حقًا إن القداس الإلهى هو سلم روحانى، من خلاله تحلق الكنيسة فى الأمور السماوية.

ثامنًا: رمز للكهنوت

فالأب الكاهن فى العهد الجديد هو وكيل سرائر الله، هكذا يقول معلمنا بولس الرسول: "هَكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ **وَوُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللهِ"** (1كو4: 1).

وكيل أسرار الله يقف أمام الله ويصلى عن الشعب، ويتجه إلى الشعب يحمل إليه بركات الفداء والخلاص. ويخدم فى وسطهم خدمة المصالحة كقول معلمنا بولس الرسول: "وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، **وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ**، أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعاً فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ" (2كو5: 18، 19)، ثم يقول "**إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ"** (2كو5: 20).

فالآباء الرسل كانوا يخدمون خدمة المصالحة بين الله والناس، وخدمة المصالحة هذه معناها أن هناك حلقة وسيطة بين الله والإنسان... إن عمل الأسقف أو الكاهن الذى ينوب عنه هو امتداد لعمل السيد المسيح نفسه. كيف ذلك؟!

الروح القدس فى سر الكهنوت يمنح الكاهن نعمة خاصة لتوصيل عمل السيد المسيح فى الفداء إلى أنفس الكثيرين لينالوا الحياة الأبدية. وفى الأسرار الكنسية كلٍ فى رتبته أو فى درجته يقوم الكاهن بتوصيل نعمة المسيح المخلّصة والمحيية إلى سائر أعضاء الكنيسة، أو إلى سائر المنضمين إلى عضويتها. فالكاهن بهذا يمثل سلمًا للاتصال بين السماء والأرض، وعودة الشركة بين الله والإنسان.

يعقوب مارس عمله كبطريرك

"وَبَكَّرَ يَعْقُوبُ فِي الصَّبَاحِ وَأَخَذَ الْحَجَرَ الَّذِي وَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ وَأَقَامَهُ عَمُوداً وَصَبَّ زَيْتاً عَلَى رَأْسِهِ. وَدَعَا اسْمَ ذَلِكَ الْمَكَانِ **"بَيْتَ إِيلَ**". وَلَكِنِ اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوَّلاً كَانَ لُوزَ" (تك28: 18، 19).

هكذا كان يعقوب أب الآباء قد عملت فيه موهبة رئاسة الآباء؛ ودشن الحجر ومارس عمله كبطريرك من الآباء الأوّل، وقام بأول عملية تدشين ذُكرت فى الكتاب المقدس. واختبر الرب عمليًا فى حياته، ونذر نذرًا أن يكون الله هو إلهه، والحجر الذى أقامه يكون بيتًا لله، وأن يعشر للرب كل ما يعطيه له.

**كان يعقوب هنا يسعى فى عقد عهودًا مع الله. فقد سبق الرب فوعده بالنجاح، وقد كان هذا النذر الذى نذره هو فيضان من قلبه الذى امتلأ شكرًا لله الذى وعده بالحب والرحمة.. لقد أحس أن لله عليه حقوقًا، ومن واجبه أن يعترف بها.**

ونذر يعقوب نذرًا

"وَنَذَرَ يَعْقُوبُ نَذْراً قَائِلاً: "إِنْ كَانَ اللهُ مَعِي وَحَفِظَنِي فِي هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي أَنَا سَائِرٌ فِيهِ وَأَعْطَانِي خُبْزاً لآكُلَ وَثِيَاباً لأَلْبِسَ. وَرَجَعْتُ بِسَلاَمٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي يَكُونُ الرَّبُّ لِي إِلَهاً. **وَهَذَا الْحَجَرُ الَّذِي أَقَمْتُهُ عَمُوداً يَكُونُ بَيْتَ اللهِ** وَكُلُّ مَا تُعْطِينِي فَإِنِّي أُعَشِّرُهُ لَكَ" (تك28: 20-22).

لقد نذر يعقوب نذرًا، ومن خلال النذر كان يقدم تعبيرًا عن شكره لله. وإن كان فى هذا الوقت ليس لديه الإمكانية لينفِّذ ما ينذر به، إذ كان لا يملك شيئًا وهو هارب من وجه عيسو أخيه الذى يريد قتله. ومعنى أنه ينذر أى يتعهد على نفسه أن هذا المكان يومًا ما سوف يصير بيتًا لله، إلى جوار تقديم العشور للرب.

لم يكن نذره شروطًا يأخذها على الله بقدر ما كان تعبيرًا عن شكره وتقديره. يقول لله: يا رب بسبب التعزيات والنعمة اللذيذة والإعلان السماوى الفائق الذى أعطيتنى إياه، فأنا من واجبى أن أعدك أن يكون هذا المكان بيتًا لك، وأن كل ما تعطينى أعشِّره لك، وأن تكون أنت إلهى دائمًا، لأنه لا يوجد إله مثلك بين الآلهه.

لقد أعطى الله الوعد لإبراهيم, وأعطى الوعد لإسحاق, وأعطى الوعد لرفقة زوجة إسحاق بشأن أحد الولدين اللذين كانا فى بطنها وهو الصغير يعقوب.. إنما فى الوقت الذى كان يعقوب فى عمق التجربة سمع الله يناديه **ويعطيه الوعد شخصيًا**.. ناداه باسمه، ورافقه فى طريقه، وأعطاه وعدًا بالميراث.

لكن هل هذه هى النهاية؟

كلا.. فلم ينتهِ الأمر عند هذا الحد.. بل دخل يعقوب فى سلسلة من مشقات ومتاعب لا تنتهى, ضيقة تلاحق ضيقة؛ يخرج من هذه ليدخل فى أخرى.. حياة كلها تعب ومشقات.. لكى يقدم أخيرًا تقريرًا أمام فرعون عندما سأله كم سنىِّ حياتك، "فَقَالَ يَعْقُوبُ لِفِرْعَوْنَ: "أَيَّامُ سِنِي **غُرْبَتِي** مِئَةٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً. **قَلِيلَةً وَرَدِيَّةً كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي** وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ" (تك47: 9).. هذه هى حياة الإنسان المؤمن مع الله.

كلم الرب عن متاعبك بكل صراحة،

وتأكد أن الرب يعرف متاعبك أكثر مما تعرفها

أنت ويريد أن يخلصك منها جميعًا.

فاطلبه فى رجاء وثقة، واضعًا أمامك قول المزمور:

"يستجيب لك الرب في يوم شدتك .

ينصرك اسم إله يعقوب" **(مز20: 1)**

(قداسة البابا شنوده الثالث)

**إلى لابان خاله**

إنقاذًا لحياة يعقوب طلبت منه رفقة أمه الذهاب إلى خاله لابان، ولم تكن رفقة تتوقع ما فعله به خاله، لكن مَنْ الذى كانت من الممكن أن تثق فيه أكثر من أخيها، لكى يحافظ على ابنها ويكرمه؟

ولم يغضب يعقوب أو يتضايق أن الله سمح له بخبرة الظلم وخبرة الألم. بأن يخدعه خاله، لكى يتزكى ويتعلم الإتكال على الله والالتصاق به باستمرار، فهذا كان أيضًا لخير يعقوب. وقد أرسلته رفقة هناك أيضًا لكى يختار له زوجة من أسرته ولا يتزوج من بنات الكنعانيين، لأن عيسو لما تزوج من بنات حِث تعبت رفقه جدًا، لدرجة أنها قالت كرهت حياتى بسبب زوجات عيسو. ولكن لأن يعقوب ابن للبركة ووارث للخلاص، طلب إليه أبوه ألا يتزوج من الشعوب الغريبة. "فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ: لاَ تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ. قُمِ اذْهَبْ إِلَى فَدَّانَِ أَرَامَ إِلَى بَيْتِ بَتُوئِيلَ أَبِي أُمِّكَ وَخُذْ لِنَفْسِكَ زَوْجَةً مِنْ هُنَاكَ مِنْ بَنَاتِ لاَبَانَ أَخِي أُمِّكَ" (تك28: 1، 2).

لقاء عند البئر

استمر يعقوب فى رحلته ووصل إلى فدان أرام، بلد خاله لابان أخى رفقة أمه، وهناك التقى بابنة خاله لابان راحيل عند البئر، ولما عرف أنها ابنة خاله فرح، ووجدت راحيل نعمة فى عينيه. وعن هذا اللقاء يقول الكتاب:

"وَنَظَرَ وَإِذَا فِي الْحَقْلِ بِئْرٌ وَهُنَاكَ ثَلاَثَةُ قُطْعَانِ غَنَمٍ رَابِضَةٌ عِنْدَهَا لأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ تِلْكَ الْبِئْرِ يَسْقُونَ الْقُطْعَانَ وَالْحَجَرُ عَلَى فَمِ الْبِئْرِ كَانَ كَبِيراً. فَكَانَ يَجْتَمِعُ إِلَى هُنَاكَ جَمِيعُ الْقُطْعَانِ فَيُدَحْرِجُونَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ وَيَسْقُونَ الْغَنَمَ ثُمَّ يَرُدُّونَ الْحَجَرَ عَلَى فَمِ الْبِئْرِ إِلَى مَكَانِهِ... فَكَانَ لَمَّا أَبْصَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ بِنْتَ لاَبَانَ خَالِهِ وَغَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ أَنَّ يَعْقُوبَ تَقَدَّمَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ وَسَقَى غَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ" (تك29: 2، 3، 10).

**كان يعقوب هنا يشير إلى السيد المسيح الذى جاء إلى العالم ليلتقى براحيل عروسه المحبوبة رمز الكنيسة، عند البئر الذى يشير إلى ماء المعمودية. أما القطعان الرابضة بجوار البئر فإشارة إلى المؤمنين الذين انتظروا مجيء المخلّص الذى رفع** **الحجر ليكشف عن سر حياتهم ورجاء خلاصهم الذى يتحقق بالصليب، وينالوه بماء المعمودية.**

وقد كان لقاء يعقوب براحيل عند شبه البئر الذى كان عنده لقاء السيد المسيح -إسرائيل الحقيقى- مع المرأة السامرية؛ "وَكَانَتْ هُنَاكَ **بِئْرُ يَعْقُوبَ**" (يو4: 6). كان ذلك اللقاء لقاءًا عجيبًا بين السيد المسيح مخلص العالم كله وبين تلك المرأة التى كانت –فى تلك الواقعة- تمثل البشرية كلها.

حينما تكلم معها عن الماء الحى، اعتقدت أنه يكلمها عن ماء البئر، وتدرجت فى معرفته. فى بداية اللقاء قالت له يا سيد أرى أنك نبىٌ، ولم تعلم أنه هو المسيح مخلص العالم. ولكنه تدرج معها، وحدَّثها عن السجود لله، وكيف أن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا. وفى حيرتها قالت أنا أعلم أن مسيا الذى هو المسيح يأتى ومتى جاء ذاك فهو يعلمنا كل شيء. فقال لها يسوع: "**أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ**" (يو4: 26).

لقد كانت تتمنى أن تسمع شيئًا عن المسيا، أو أن تسمع شيئًا من تعاليمه، لأن العالم المشتاق إلى الخلاص كان ينتظر مجيئه. وإذ بها تقف وجهًا لوجه أمام مشتهى كل الأجيال، أمام نور العالم الذى قال: "**أَنَا هُوَ** نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ" (يو8: 12)، أمام ذاك الذى قال: "**أَنَا هُوَ** الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" (يو14: 6)، أمام الذى قال عنه بولس الرسول: "لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ..." (فى1: 21)، ومن قال عنه يوحنا الإنجيلى: "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ" (يو1: 4).

حينئذ انطلقت المرأة لكى تنادى فى كل مكان فى مدينة السامرة: "هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَاناً قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟" (يو4: 29)، تعالوا لكى تلتقوا بالمسيح.. **وهؤلاء الذين التقوا به شعروا بقوة عجيبة تسرى فى داخلهم**، **وكأن الحجر الذى كان موضوعًا على فم البئر قد رُفع**، **وشعروا بكلامه وهو يغسل قلوبهم من الشر**. **وشعروا بالنعمة التى تتدفق على شفتيه، وشعروا بقوة الحياة** **الجديدة التى جاء لكى يمنحها للبشر،** **كما قال: "وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ" (يو10: 10).**

يعقوب يخدم عند لابان

لما علم لابان أن يعقوب قد جاء خرج للقائه وعانقه وقبَّله وأتى به إلى بيته، وقال له إنما أنت عظمى ولحمى. ومكث يعقوب يعمل بمهارة عنده شهرًا. ثم قال له لابان: "أَلأَنَّكَ **أَخِي** تَخْدِمُنِي مَجَّاناً؟ أَخْبِرْنِي مَا أُجْرَتُكَ" (تك29: 15). وبالرغم من أن لابان هو خال يعقوب إلا أنه دعاه أخاه لأنه قريبه.

وكان للابان ابنتان؛ اسم الكبيرة ليئة وكانت عيناها ضعيفتين، والصغرى راحيل. فقال يعقوب لخاله: أنا مستعد أن أخدمك سبع سنين لكى تعطينى راحيل زوجة، هذه هى أجرتى. ولقد اعتبر لابان أن وجود يعقوب عنده مكسب ومنفعة له، لذلك وافقه على طلبه.

وخدم يعقوب سبع سنين واحتمل فيها الكثير من أجل أن يتزوج براحيل, ويقول الكتاب: "فَخَدَمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينٍ وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا" (تك29: 20). ولما كملت السنين قال يعقوب للابان اعطني امرأتى لأن أيامي قد كملت. فصنع لابان وليمة، وفى المساء أخذ ليئة ابنته وعلى وجهها غطاء وأتى بها إليه، وفى الصباح إذا هى ليئة فقال يعقوب للابان ما هذا الذى صنعت بى أليس براحيل خدمت عندك فلماذا خدعتنى.

فقال لابان لا يفعل هكذا فى مكاننا أن تُعَطى الصغيرة قبل البكر. لتخدم سبع سنين أخرى، وأنا أعطيك راحيل. وصبر يعقوب على إتفاق الخدمة –بلا أجرة- سبع سنين أخرى لكى يتزوج راحيل.

يمكننا أن نقول إن **ليئة** كانت ترمز إلى كنيسة اليهود و**راحيل** ترمز إلى كنيسة الأمم. وكان لابد أن تأتى كنيسة اليهود قبل كنيسة الأمم "لأَنَّ الْخلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ" (يو4: 22). وهكذا فإن السيد المسيح قد جاء من سبط يهوذا من نسل ليئة.

والسبع سنوات فى كلتا الحالتين ترمز إلى أسرار الكنيسة السبعة التى كانت ترمز إليها المنارة ذات السبع سرج فى خيمة الاجتماع. كما ورد أيضًا فى سفر الأمثال: "الْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا. نَحَتَتْ **أَعْمِدَتَهَا السَّبْعَةَ**. ذَبَحَتْ ذَبْحَهَا. مَزَجَتْ خَمْرَهَا. أَيْضاً رَتَّبَتْ مَائِدَتَهَا" (أم9: 1، 2).

وكانت راحيل عاقرًا فى البداية لذلك قيل عن كنيسة الأمم فى سفر أشعياء النبى: "تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ" (إش54: 1).

المعاناة من خداع لابان

لقد عانى يعقوب من ظلم خاله لابان الكثير والكثير، لم يقف أمر خداع لابان ليعقوب عند موضوع زواجه من ليئة فقط، ولكن أيضًا كان لابان إنسانًا محبًا للمادة؛ فلم يقبل أن يعطى ليعقوب أجرته خالصةً عن تعبه وعمله على مدى عشرين سنة. وكلما اتفق معه على أجرة معيّنة كان يُغيِر الأجرة.

إذا قال له الغنم المخططة التى تولد تكون لك، تلد الغنم القوية مخططة. فيغيّر أجرته ويقول له لتكن لك الأغنام الرقطاء، فتلد له الرقطاء وتكون قوية. فيغيّر لابان الاتفاق وهكذا غيّر أجرته أكثر من مرة.. لكى لا يعطيه حقه وتعب يديه.

ربما سمح الله بخداع لابان ليعقوب ليشعر بمرارة الخداع، ويندم على خداعه لأبيه إسحاق عندما أخذ منه البركة بطريقة ماكرة. وليندم على هذا الأسلوب بعد أن ذاق مرارة الخداع.

ارجع إلى مكان العهد

وكلّم الله يعقوب فى رؤيا وقال له: "لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ مَا يَصْنَعُ بِكَ لاَبَانُ. أَنَا إِلَهُ بَيْتِ إِيلَ حَيْثُ مَسَحْتَ عَمُوداً. حَيْثُ نَذَرْتَ لِي نَذْراً. **الآنَ قُمِ اخْرُجْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ وَارْجِعْ إِلَى أَرْضِ مِيلاَدِكَ**" (تك31: 12، 13)

بمعنى أن الرب قال له: تعال أرجعك إلى الأرض التى حلفت لإبراهيم أن أعطيها له ولنسله من بعده، تعالَ أرجعك إلى الموضع الذى سررت بأن يُوضع اسمى فيه، فى ذلك المكان نصنع قصة الفداء معًا، إذ نُعِد لمجيء مخلص العالم... هناك أعطيك حبى، هناك أقيم عهدى معك، هناك أحقق كل ما وعدتُك به.

كان القصد الإلهى أن يعود يعقوب مرة أخرى إلى هناك حيث سيكون مذبح الرب، حيث بيت إيل، حيث جبل المُرِيا، وحيث جبل الجلجثة. حيث أورشليم مدينة داود؛ مدينة الملك العظيم، وحيث جبل التجلى وجبل الصعود، وطريق الآلام. كل هذه كانت فى قصد الله المبارك حينما قال له: ارجع يا يعقوب مرة أخرى. مع العلم بأن الميراث الحقيقى هو فى أورشليم السمائية، وليس فى أورشليم الأرضية التى صارت معبرًا مؤقتًا إلى الأمجاد الروحية.

أنا إله بيت إيل

جاهد يعقوب عندما هرب وجاهد فى خدمة خاله, وجاهد عندما خطب وعندما تزوج, جاهد لأجل النسل وجاهد لكى تكون له ثروة... سنين طويلة وهو يجاهد. ثم رجع كما قال له الله. وقال لامرأتيه راحيل وليئة, "أَنَا أَرَى وَجْهَ أَبِيكُمَا أَنَّهُ لَيْسَ نَحْوِي كَأَمْسِ وَأَوَّلَ مِنْ أَمْسِ. وَلَكِنْ إِلَهُ أَبِي كَانَ مَعِي**.** وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنِّي بِكُلِّ قُوَّتِي خَدَمْتُ أَبَاكُمَا. وَأَمَّا أَبُوكُمَا فَغَدَرَ بِي وَغَيَّرَ أُجْرَتِي عَشَرَ مَرَّاتٍ. لَكِنَّ اللهَ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ أَنْ يَصْنَعَ بِي شَرّاً. إِنْ قَالَ: الرُّقْطُ تَكُونُ أُجْرَتَكَ وَلَدَتْ كُلُّ الْغَنَمِ رُقْطاً. وَإِنْ قَالَ: الْمُخَطَّطَةُ تَكُونُ أُجْرَتَكَ وَلَدَتْ كُلُّ الْغَنَمِ مُخَطَّطَةً" (تك31: 5- 8).

وقال لهما: "وَقَالَ لِي **مَلاَكُ اللهِ** فِي الْحُلْمِ: يَا يَعْقُوبُ. فَقُلْتُ: هَئَنَذَا. فَقَالَ: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ! جَمِيعُ الْفُحُولِ الصَّاعِدَةِ عَلَى الْغَنَمِ مُخَطَّطَةٌ وَرَقْطَاءُ وَمُنَمَّرَةٌ لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ مَا يَصْنَعُ بِكَ لاَبَانُ. **أَنَا إِلَهُ بَيْتِ إِيلَ** **حَيْثُ مَسَحْتَ عَمُوداً**. **حَيْثُ نَذَرْتَ لِي نَذْراً.** الآنَ قُمِ اخْرُجْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ وَارْجِعْ إِلَى أَرْضِ مِيلاَدِكَ" (تك31: 11- 13).

"**ملاك الله**" فى هذه العبارة أى "**سفير الله**" الله الكلمة أى هو الابن، ملاك الله هو السيد المسيح المرسل من الآب، ولذلك استطرد وقال له: "أنا إله بيت إيل".. حيث مسحت عمودًا, عندما رفعت الحجر الذى كان تحت رأسك وصببت عليه زيتًا ودشنته, وأسميت هذا المكان "**بيت إيل**" أى بيت الله. أنا الذى ظهرت لك فوق السلم الذى يمس السماء وهو منصوب على الأرض، وملائكة السماء صاعدة ونازلة عليه, حيث نذرت لى نذرًا (انظر تك28).

**تكلم معه الله فى رؤيا وجدد له الوعد وأكّد له أنه سوف يحفظه ويعيده مرة أخرى.**

اهرب لحياتك

إن كان الله قد أعطى يعقوب أولاً أمرًا أن يهرب إلى أرض حاران، ويسكن عند خاله ويتزوج هناك، لأن أخاه عيسو كان يريد قتله بعد أن أخذ منه البركة. وأما هنا فإن الرب يأمره أن يرجع إلى أرض ميلاده... إن كان هو قد هرب من الموت وهو بعد شاب صغير, أما الآن فسوف يرجع ومعه أحد عشر ولدًا, مع زوجاته الأربعة ومنهن راحيل وهى حامل فى بنيامين أيضًا, ومعه خيرات كثيرة وغنم وعبيد وإماء, هكذا عاد يعقوب يحمل حملاً ومسئولية ثقيلة.

كان مع يعقوب أسباط إسرائيل الاثنى عشر، هذا المنظر وهم خارجون يذكِّرنا بهروب شعب إسرائيل من أرض مصر. وإن كان عددهم هنا ليس بكثير مثلما كان وقت موسى النبى، لكن هو أيضًا رحيل لكل شعب الله المعروف فى ذلك الحين، شعب الله بكامله يرحل فى البرية.

ورجع يعقوب محمولاً على أذرع الإيمان. فقام وحمَّل أولاده ونساءه على الجمال، وساق كل مواشيه وجميع مقتناه الذى كان قد اقتنى ليجيء إلى أرض إسحاق أبيه فى أرض كنعان.. وهكذا هرب يعقوب من خاله لابان.

لابان يسعى وراء يعقوب

فى اليوم الثالث علم لابان أن يعقوب قد هرب، فأخذ رجاله وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام، وأدركه فى جبل جلعاد.. وقد أراد أن يفتك به ليرد إليه كل المقتنيات.

ولحق لابان يعقوب وعندما أدركه قال له: "مَاذَا فَعَلْتَ وَقَدْ خَدَعْتَ قَلْبِي وَسُقْتَ بَنَاتِي كَسَبَايَا السَّيْفِ؟ لِمَاذَا هَرَبْتَ خُفْيَةً وَخَدَعْتَنِي وَلَمْ تُخْبِرْنِي حَتَّى أُشَيِّعَكَ بِالْفَرَحِ وَالأَغَانِيِّ بِالدُّفِّ وَالْعُودِ.وَلَمْ تَدَعْنِي أُقَبِّلُ بَنِيَّ وَبَنَاتِي؟ الآنَ بِغَبَاوَةٍ فَعَلْتَ!.فِي قُدْرَةِ يَدِي أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ شَرّاً وَلَكِنْ **إِلَهُ أَبِيكُمْ** كَلَّمَنِيَ الْبَارِحَةَ قَائِلاً: احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُكَلِّمَ يَعْقُوبَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَالآنَ أَنْتَ ذَهَبْتَ لأَنَّكَ قَدِ اشْتَقْتَ إِلَى بَيْتِ أَبِيكَ وَلَكِنْ لِمَاذَا سَرِقْتَ آلِهَتِي؟" (تك31: 26- 30).

"فَاغْتَاظَ يَعْقُوبُ وَخَاصَمَ لاَبَانَ. وَقَالَ يَعْقُوبُ لِلاَبَانَ: "مَا جُرْمِي؟ مَا خَطِيَّتِي حَتَّى حَمِيتَ وَرَائِي؟. إِنَّكَ جَسَسْتَ جَمِيعَ أَثَاثِي. مَاذَا وَجَدْتَ مِنْ جَمِيعِ أَثَاثِ بَيْتِكَ؟ ضَعْهُ هَهُنَا قُدَّامَ إِخْوَتِي وَإِخْوَتِكَ! فَلْيُنْصِفُوا بَيْنَنَا الاثْنَيْنِ.

اَلآنَ عِشْرِينَ سَنَةً أَنَا مَعَكَ. نِعَاجُكَ وَعِنَازُكَ لَمْ تُسْقِطْ. وَكِبَاشَ غَنَمِكَ لَمْ آكُلْ. فَرِيسَةً لَمْ أُحْضِرْ إِلَيْكَ. أَنَا كُنْتُ أَخْسَرُهَا. مِنْ يَدِي كُنْتَ تَطْلُبُهَا. مَسْرُوقَةَ النَّهَارِ أَوْ مَسْرُوقَةَ اللَّيْلِ. كُنْتُ فِي النَّهَارِ يَأْكُلُنِي الْحَرُّ وَفِي اللَّيْلِ الْجَلِيدُ وَطَارَ نَوْمِي مِنْ عَيْنَيَّ. اَلآنَ لِي عِشْرُونَ سَنَةً فِي بَيْتِكَ. خَدَمْتُكَ أَرْبَعَ عَشَرَةَ سَنَةً بَابْنَتَيْكَ وَسِتَّ سِنِينٍ بِغَنَمِكَ. وَقَدْ غَيَّرْتَ أُجْرَتِي عَشَرَ مَرَّاتٍ!.

لَوْلاَ أَنَّ إِلَهَ أَبِي إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَهَيْبَةَ إِسْحَاقَ كَانَ مَعِي لَكُنْتَ الآنَ قَدْ صَرَفْتَنِي فَارِغاً. قَدْ نَظَرَ اللهُ مَشَقَّتِي وَتَعَبَ يَدَيَّ فَوَبَّخَكَ الْبَارِحَةَ" (تك31: 36- 42).

لأنه تعلق بى فأنجيه

وهنا نأخذ درسًا فى حياة يعقوب، كان يعقوب إنسانًا غريبًا، فهو أعزل مسكين ليس له قدرة على حماية نفسه. لكنه متكل على الله الذى وعده أن يكون معه ويحفظه.. وهنا نرى جانبين فى حياة أولاد الله؛ أولهما أنهم يعيشون فى العالم غرباء مضطهدين. والجانب الآخر هو مؤازرة السماء وعنايتها بهم.

الإنسان الذى يعيش حياة ساكنة مطمئنة، كيف يمكن أن يظهر الله ويتمجد فى حياته؟! الإنسان الذى يعيش حياة هادئة خالية من المتاعب، ليس فيها ضيقات.. كيف يمكن أن يظهر الله عنايته به؟! لكن يقول الكتاب: "فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ" (إش63: 9).

لذلك فإن الإنسان الذى يتكل على قوته الشخصية وعلى ذراعه لكى يُخلص نفسه من التجارب أو من الضيقات أو من الاضطهادات، هذا الإنسان لا يستطيع أن يختبر الله فى حياته.

الضيقة مجال للقاء مع الله

من أجل ذلك يقول القديس الأنبا بولا أول السواح: }الذى يهرب من الضيقة يهرب من الله{. لأن الضيقة هى مجال الالتقاء مع الله.. هى الفرصة التى نستطيع أن نرى من خلالها الله يعمل فى حياتنا. ونستطيع أن نلمس وجوده معنا ونقول له: "بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي" (أى42: 5).

لا تظن أن اللحظات التى تقضيها وحدك ليس لها قيمة أو بدون فائدة.. ربما تكون هى أثمن لحظات فى العمر.. جميل جدًا فى الضيقات أن لا يضيّع الإنسان الوقت ويتكلم مع الناس, فالضيقة هى فرصة نلتقى فيها مع الله، وفيها نأخذ دفعات روحية.. يقول يعقوب الرسول: "اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَّوِعَةٍ" (يع1: 2).

ويقول **قداسة البابا شنوده الثالث** –أطال الرب حياته-}إن هناك طريقتين نتعامل بهما مع الضيقات: إما أن يضع الإنسان الضيقة أمام عينه بينه وبين الله، فينظر إلى الضيقة ولا يستطيع أن يرى الله، فتهتز علاقته مع الله، ويصير حزينًا وبائسًا. أو أن يجعل الإنسان الله بينه وبين الضيقة، فيستطيع أن يلتقى مع الله من خلالها، لأن الله موجود فى الضيقة ويقول: "ادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي" (مز50: 15). وبهذا تختفى الضيقة خلف الله{.

إذن **الضيقة هى فرصة لقاء مع الله**.. كلما دخلت فى ضيقة قل لنفسك: ها قد أُتيحت لكِ الفرصة يا نفسى.. لكى تجلسى وحدك وتتكلمى مع الله، وتقدمى صلاتك وتنتظرى إعلانات الله وحديثه المعزى.

الرب يقاتل عنكم وأنت تصمتون

بالرغم من وعود الله ليعقوب وقع فى مأزق صعب.. حيث تعقبه لابان سبعة أيام يطارده وأخيرًا أدركه فى جبل جلعاد، وكان على وشك أن يقضى عليه.. ولكن أتى الله إلى لابان الأرامى فى حلم الليل، وقد كان لابان يعبد الأصنام وليس الله، أو ربما كان يخلط عبادة الإله الحقيقى مع عبادة الأصنام وهذا بالتأكيد ضد الإيمان السليم ومرفوض تمامًا، لذلك عندما كلّم يعقوب قال له: "إله أبيكم كلمنى البارحة" لم يقل "إلهى أنا", بل إلهكم أنتم. قال له الله: "احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُكَلِّمَ يَعْقُوبَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ" (تك31: 29).

بالرغم من أن لابان لا يعبد الله لكنه شعر بقوة إلهية عجيبة تعمل مع يعقوب، وهذه القوة جعلته يخشى قوة هذا الإله بالرغم من عدم خضوعه لوصاياه أو إيمانه به إيمانًا سليمًا أو سلوكه حسب تعليمه. لكن الله وضع مخافته فى قلبه.

ومن المخجل جدًا بالنسبة للابان إنه بعدما قال ليعقوب إله أبيكم كلمنى، يقول له: "لِمَاذَا سَرِقْتَ آلِهَتِي؟" (تك31: 30).. بهذا يعترف أن آلهته ضعيفة جدًا لدرجة أنه من الممكن أن تُسرق!!.. إذا كان كل إله منها لا يقدر أن يحرس نفسه من السرقة فكيف يحفظ الآخرين؟!! كيف يحرسهم ويدفع عنهم الضرر؟!

لقد اعترف لابان بلسانه اعترافًَا واضحًا بالفرق الكبير بين إله يعقوب الذى يحمى أولاده ويستر عليهم وبين آلهته الذين هم ليسوا آلهة. كما أنه اعترف أنه يعبد أصنام لأن الآلهة التى كان يبحث عنها هى تماثيل من الذهب. أخذتها راحيل ابنته معها عند الرحيل دون علم يعقوب زوجها، ربما كتعويض مالى من الذهب عما فعله أبوها بزوجها. وعندما جس لابان الأمتعة جلست راحيل على مكان إخفاء هذه التماثيل، واعتذرت لوالدها أنها متعبة فلم يفتش فى هذا المكان ولم يجد شيئًا. ولكن يعقوب دفن هذه الأصنام فيما بعد فى الطريق عندما علم بوجودها مع راحيل.

أتى الله إلى لابان الأرامى فى حلم الليل وقال له احترز أن تكلم يعقوب بخير أو بشر.. ومن هذا نرى أسلوب الله فى العمل مع أولاده؛ إنه قادر أن يعطى ليعقوب قوة للانتصار على لابان.

هكذا كانت حياة يعقوب ترمز إلى جهاد الإنسان المسيحى فى غربة هذا العالم، لذلك كانت خالية تمامًا من الحروب، فلم يحاول أن يدافع عن نفسه أو يصطدم بقوة مع خاله لابان، ولكن الله حفظه ودافع عنه، حتى أن لابان جاء بنفسه واعترف بقوة الله العاملة مع يعقوب.

لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون

يقول الكتاب "وَأَتَى اللهُ إِلَى لاَبَانَ الأَرَامِيِّ فِي حُلْمِ اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُكَلِّمَ يَعْقُوبَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ" (تك31: 24). هذا الموقف كثيرًا ما يتكرر مع أولاد الله فى كل زمان. وإن كان الله قد انتظر للوقت الذى كان لابان على وشك أن يفتك بيعقوب. إذ يقول الكتاب إنه سعى وراءه مسيرة سبعة أيام فأدركه فى جبل جلعاد.. لكن بالرغم من أن الله ينتظر إلى اللحظات الأخيرة، إنما يتدخل فى الوقت المناسب.

ليس معنى ذلك أن الله يمنع عن أولاده الاضطهاد نهائيًا. إنما يقول "وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا" (1كو10: 13).

لا شك أن يعقوب مكث عشرين سنة مضطَهدًا عند لابان ومذلولاً، لئلا نظن أن معنى حراسة الله لنا وعنايته بنا أنه يمنع عنا أى تجارب أو أى ضيقات.. كلا. لكن بالرغم أنه لا يمنع التجارب والضيقات، إنما يتدخل فى الوقت المناسب حينما تكون الضيقة أكثر مما نحتمل.. لماذا؟ لأنه "لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ".

بركة تنفيذ الوصية

ليتنا نختبر بركة تنفيذ وصية الرب.. هل اختبرت وصية "لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً" (مت5: 39)، ربما يعترض أحد قائلاً ومن يستطيع تنفيذ ذلك؟!

كثيرون يعترضون بخاصة على هذه الوصية، البعض يعتبرها فوق مستوى البشر أو إنها خيالية، لا يمكن أن يتصورها العقل. **لكن فى الحقيقة نستطيع أن نلتقى مع الله من خلال وصاياه**.. إن أردت أن تقاوم الشر وتجازى من يلطمك لن ترى عمل الله فى حياتك. لكن إن أردت أن ترى عمل الله نفّذ الوصية وسوف ترى عجبًا من خلال تنفيذ وصايا الله.

هكذا رأينا كيف أعطى الله نعمة ليعقوب فى عين لابان خاله، وقد اعترف لابان نفسه فى مواقف معينة بعمل الله مع يعقوب.. ليس فقط عندما ظهر له الله وحذره أن يمس يعقوب، لكنه اعترف قبل ذلك وقال لابان ليعقوب "لَيْتَنِي أَجِدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ. قَدْ تَفَاءَلْتُ فَبَارَكَنِي الرَّبُّ بِسَبَبِكَ" (تك30: 27). وقال له إن وجودك فى بيتى هو بركة لى.. وإن كان لابان يظلمه ولا يعطيه أجرته وقد أتعبه إلى أقصى درجة، لكن فى نفس الوقت لم ينكر أن وجود يعقوب فى بيته كان سبب بركة للبيت.

من هنا نرى ما مدى عمل الله مع أولاده، فبالرغم من أن يعقوب مظلوم، لكن إذا دخل مكانًا تحل البركة فى هذا المكان، مع إنه هو نفسه يعيش فى حرمان وتعب.. وإذا حاول أى إنسان أن يعتدى عليه، يخاطبه الله نفسه ويمنعه ويقول له: احترس أن تمد يدك إلى ابنى بأى أذى.

هذه الأمور لا تخص رجال الله فى القديم فقط. ولكنها فى كل عصر وكل زمان حتى فى أيامنا الحاضرة. لكى تعرفوا أن إله يعقوب هو نفسه مع كل أحد منا.. يستطيع أن يعمل أمس واليوم وإلى الأبد. "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عب13: 8).

أولاد الله كلما يدخلون التجارب

يختبرون الله، ويتذوقون حلاوته،

ويرون الله فى الأحداث وفى الشدة.

**(قداسة البابا شنوده الثالث)**

**الاستعداد لمقابلة عيسو**

كان يعقوب خائفًا جدًا، لأنه خرج عائدًا لأن عيسو كان يريد أن يقتله، وأما الآن فهو راجع، ويتوقع أن يكون عيسو طبعًا فى استقباله لكى ينفذ التهديد الذى قاله منذ عشرين سنة، لكن كان ما يطمئن يعقوب هو الوعد الذى وعده الرب.

هذا هو عمل الإيمان فى حياة الإنسان الذى يسلك فى وسط تهديدات هذا العالم الحاضر. تحيط به المخاوف لكن يسنده الوعد، وعد الله بأن يحفظه وأن يكون معه، كما قال السيد المسيح لنا: "وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَبَعْدَ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ" (لو12: 4)، "وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. آمِينَ" (مت28: 20)، "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو16: 33).

**هذا هو رجاء المؤمنين، وهذا هو سر تعزيتهم وسِر قوتهم الروحية فى وسط الضيقات، ووسط التجارب فى وسط تهديدات العالم المتكررة.**

رجع يعقوب بعد عشرين سنة، ومعه زوجاته وأولاده وممتلكاته من الماشية والخدام. وأرسل رسلاً لأخيه عيسو، وقال لهم: "هَكَذَا تَقُولُونَ لِسَيِّدِي عِيسُوَ: هَكَذَا قَالَ عَبْدُكَ يَعْقُوبُ: تَغَرَّبْتُ عِنْدَ لاَبَانَ وَلَبِثْتُ إِلَى الآنَ. وَقَدْ صَارَ لِي بَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَغَنَمٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ. وَأَرْسَلْتُ لأُخْبِرَ سَيِّدِي لِكَيْ أَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ. فَرَجَعَ الرُّسُلُ إِلَى يَعْقُوبَ قَائِلِينَ: أَتَيْنَا إِلَى أَخِيكَ إِلَى عِيسُو وَهُوَ أَيْضاً قَادِمٌ لِلِقَائِكَ وَأَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ مَعَهُ" (تك32: 4-6).

لم يكن مع يعقوب سوى عدد قليل من الخدام وكثير من المواشى، كما كان معه أولاده الأحد عشر متفاوتى الأعمار, وراحيل حبلى ببنيامين, وفى المقابل كان أخوه عيسو آتيًا بأربعمائة رجلٍ من رجاله الأشداء. فخاف يعقوب جدًا وضاق به الأمر، فقسم القوم الذين معه والغنم والبقر والجمال إلى جيشين –أى إلى فريقين– إذ قال إن جاء عيسو إلى الفريق الواحد وضربه يكون الفريق الباقى ناجيًا.

صغير أنا على جميع ألطافك

صلى يعقوب وقال: "يَا إِلَهَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهَ أَبِي إِسْحَاقَ الرَّبَّ الَّذِي قَالَ لِيَ: ارْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى عَشِيرَتِكَ فَأُحْسِنَ إِلَيْكَ. **صَغِيرٌ أَنَا عَنْ جَمِيعِ أَلْطَافِكَ** وَجَمِيعِ الأَمَانَةِ الَّتِي صَنَعْتَ إِلَى عَبْدِكَ. فَإِنِّي بِعَصَايَ عَبَرْتُ هَذَا الأُرْدُنَّ وَالآنَ قَدْ صِرْتُ جَيْشَيْنِ. نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَخِي مِنْ يَدِ عِيسُوَ لأَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَضْرِبَنِي الأُمَّ مَعَ الْبَنِينَ. وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ: إِنِّي أُحْسِنُ إِلَيْكَ وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُعَدُّ لِلْكَثْرَةِ" (تك32: 9- 12)

أنا يا رب معترف إنك عملت معى كثيرًا, وجميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك، أنت يا رب أمين معى فى وعودك, فإنى بعصاى عبرت هذا الأردن. لقد خرجت بالعصا التى فى يدى، خرجت صفر اليدين لا أملك شيئًا، والآن أعود ومعى أولاد.. أعود محاطًا بعنايتك محاطًا بوعدك الإلهى المقدس.

لكن يجب أن أعبر الموت عبورًا، لكنى فى رجاء وعدك أقول: "أَيْضاً إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرّاً لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي" (مز23: 4). نجنى من يد أخى، من يد عيسو لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين, وأنت قلت إنى أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد من الكثرة.

إن أول خطوة فى حياة الإتضاع أن يعرف الإنسان حقيقة نفسه.. يقول مار إسحاق السريانى: }طوبى للإنسان الذى يعرف ضعفه، لأن هذه المعرفة تصبح أساسًا وجذرًا وبدايةً لكل صلاح{. كثير من القديسين كانوا يقولون لله: اذكر يا رب إننا تراب ورماد. كما قال إِبْرَاهِيمُ: "إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ" (تك18: 27)، ويعقوب يقول له:"صَغِيرٌ أَنَا عَنْ جَمِيعِ أَلْطَافِكَ"، ويقول داود النبى: "أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ..." (مز22: 6).

فالإنسان الذى يعرف حقيقة ضعفه يعرف قدر نفسه، يعرف أنه قد أخطأ وأساء، وأنه لم يكن مستحقًا لكل إنعامات الله وإحساناته.. هذا الإنسان يستطيع أن يجد طريقًا روحيًا سليمًا.

ليتنا نتذكر خطايانا حينما ندين الآخرين على عيوبهم، ونتذكر عيوبنا وما نستحقه من عقوبة.. ولا نتذمر على الله إذا أحاطت بنا الضيقات.

أرسل هدايا أمامه

بات يعقوب هناك تلك الليلة، وأرسل هدايا لأخيه عيسو من الماعز مائتين عنزة وعشرين تيسًا, ومن الخراف مائتى نعجة وعشرين كبشًا, وثلاثين ناقة مرضعة وأولادها, وأربعين بقرة وعشرة ثيران, عشرين أتان وعشرة حمير. وجعلهم مجموعات مجموعات؛ كل مجموعة وحدها، وقال لهم اجتازوا أمامى واجعلوا فسحة بين قطيع وقطيع.

وقال لهم إن قابل أخى عيسو مجموعة منكم وسألكم لمن أنتم, وإلى أين تذهبون, ولمن هذا الذى أمامكم؟ تقولون له لعبدك يعقوب, هو هدية مرسلة لسيدى عيسو وها هو أيضا وراءنا. وهكذا قال لكل المجموعات لأنه قال أستعطف وجهه بالهدية السائرة أمامى, وبعد ذلك أنظر وجهه عسى أن يرفع وجهى, فاجتازت الهدية قدامه أما هو فبات تلك الليلة فى المحلة.

كان عيسو رجلاً جسدانيًا، إذ كان يعتبر أن البركة هى الحمير والثيران, والغنم والماعز والخيرات الزمنية. وقد أخذ يعقوب من عيسو البركة عندما باعها له بأكلة عدس، لذلك فكر يعقوب أن يعطى عيسو ما يشتهيه لكى يحنن قلبه فيترفق به ولا يؤذيه.

مخاضة يبوق

"ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ **مَخَاضَةَ يَبُّوقَ**. أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ. فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ.." (تك32: 22- 24).

كان أمام يعقوب إما أن يعبر نهر الأردن لكى يدخل إلى أرض الميعاد، أو أن يلتقى بأخيه عيسو.. فجاء ومن معه عند مخاضة يبوق.

المخاضة هى جزء من النهر، فيه تتسع مساحته ولا يكون ضيقًا، فيصير عمق الماء قليلاً جدًا فى هذا الجزء، مما يساعد على عبور أى إنسان ماشيًا على قاع النهر خلال هذا الجزء من النهر دون أن تغمره المياه. هذا ما يسموه المخاضة, لكن عندما يضيق النهر يكون عميقًا لأن كمية المياه كلها تتجمع فى مكان صغير، فيصعب العبور فى تلك الأماكن العميقة.

ومخاضة يبوق كانت جزءًا من نهر الأردن من ناحية الشمال، لأن يعقوب جاء من الشمال من منطقة ما بين النهرين. عند تلك المخاضة عبَّر يعقوب الهدايا كلها كما عبَّر امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر, أخذهم وأجازهم الوادى وأجاز ما كان له, وبقى يعقوب وحده بعدما عبروا.

وبقى يعقوب وحده!!

والسؤال هنا لماذا بات يعقوب وحده فى تلك الليلة؟! يعقوب الذى كان خائفًا كيف يبيت وحده؟!! فمن كان خائفًا يبحث عن من يستأنس به أو يشغل فكره.. لكن من الأمور العجيبة جدًا, أن يعقوب قد عبَّر كل من معه فى مخاضة يبوق وبات وحده فى هذا المكان القفر!!

كنا نظن أنه يمكث فى وسط عبيده, يوقدون نارًا ويجلسون ليتسامروا، لكى يمر الوقت وينسى الخوف. لكن هذا التصرف لا يعمله شخص مثل يعقوب أب الآباء, جد السيد المسيح.

إننا عندما نذكر هؤلاء الناس من رجال الله، ونحكى عن حياتهم وربما نذكر لهم بعض الضعفات أو أخطاء عابرة, لكن يجب أن نتذكر أن هؤلاء هم الآباء البطاركة الأوائل؛ إبراهيم وإسحق ويعقوب.

هؤلاء الآباء الكبار الأولون الذين صنع معهم الله العهود والمواعيد، التى بناء عليها جاء الاشتراع وشريعة موسى، وجاء السيد المسيح حسب الوعد. من أجل هذا لابد أن نفهم أنهم يتصرفون أحيانًا بطريقة تختلف عن تصرفات عامة الناس, **إنها مواقف تُسَجَل بأحرف من نور, تُسجَل لكى تبقى أضواء على الطريق, لمن يريد أن يتعلم.**

بات يعقوب وحده لأنه يريد أن يصلى، لا يريد أن تشغله رحيل فتقول له أنا خائفة، ولا ليئه تقول له لماذا تتركنا وحدنا, ولا أحد الأولاد يشغله أو يعطله, لا يريد أحدًا قط.. لذلك بصريح العبارة يقول الكتاب "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ.." (تك32: 24).

لقد كان يعقوب حكيمًا إذ لم يمكث فى وسط الجماعة فى تلك الليلة، لأنها هى ليلة الاستعداد للمواجهة والمجابهة الضخمة التى تنتظره فى اليوم التالى. فعبّر الكل وبقى يعقوب وحده، ودخل إلى حجاب الملك لكى يصارع مع الله.

**جميل جدًا هذا المشهد؛ يعقوب راكع على الأرض فى العراء ويرفع يديه نحو السماء. ليست هناك أى حماية تستره إلا قوة صلاته لله, وقوة الإيمان الذى يحرك الجبال. هكذا يكون رجل الله الذى يعرف كيف يواجه العاصفة متسلحًا بسلاح الله الكامل.**

ماذا حدث فى تلك الليلة؟!

يقول الكتاب: "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ" (تك32: 24), من هو هذا الإنسان الذى صارعه؟!! هو السيد المسيح فى هيئة إنسان فى أحد ظهوراته فى العهد القديم, بعدما ظهر له فى الحلم مرتين؛ مرة على السلم (تك28: 13)، ومرة أخرى عند خاله لابان (تك31: 3).

أما فى هذه المرة ظهر له الرب وجهًا لوجه، وأمسكه بيديه.. وإن كان هذا مجرد ظهور من ظهوراته السابقة للتجسد، فلم يكن مثل تجسده من السيدة العذراء مريم الذى صار بجسد حقيقى. ولكن بذلك انتقل يعقوب إلى مرحلة أعمق بكثير من مجرد الحلم، فقد انتقل إلى مرحلة المواجهة.. لماذا؟!

لم يواجه يعقوب مثل هذه الظروف فى حياته كلها؛ كان فى شدة الخطر, فى شدة البؤس, فى شدة التعب. فالتجأ إلى الرب يقول له: لقد وعدتنى, وأنت الذى أمرتنى أن أرجع، فماذا أفعل؟ أنت قلت لى أن أرجع، وقلت لى سوف أعطيك المواعيد التى وعدتك بها.

أنت قد قلت إنى أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر. أين هذه المواعيد إذا كنّا سوف نُذبح كلنا غدًا، ونكون فريسة لأولئك الأربعمائة فارس الذين مع أخى عيسو؟.. ماذا أفعل وليس لدىّ سيف واحد؟! فنحن أناس عُزّل رعاة غنم...

الصلاة صراع مع الله

الصلاة هى صراع مع الله, وليست مجرد ترديد كلمات بالفم، بلا مشاعر، بلا عواطف. والله مستعد **أن يُغلَب**، وفى سفر نشيد الأنشاد يقول للعروس: "حَوِّلِي عَنِّي عَيْنَيْكِ فَإِنَّهُمَا **قَدْ غَلَبَتَانِي**" (نش6: 5).

الله مستعد **أن يُغلَب**!! الله يريد ممن يصلى أن يصارع معه, يصارع مثلاً كما فى المزمور فيقول: "مِنَ الأَعْمَاقِ صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ" (مز130: 1)، إنسان يصرخ فى الصلاة ولا تكون الصلاة مجرد ترديد كلمات أو طلبات.

كما يقول الشاعر بفم غريق: }صوتى عِلى مثل صرخة غريق... بيصرخ- بيصرخ- بيصرخ.. بيصرخ بكل قواه.. للحياه{، إنسان غريق كيف يصرخ؟ يصرخ بكل قوته، يصرخ وهو يعرف ماذا تكون تلك الصرخة، إما أن تكون قوية ويسمعها الناس، وإلا ضاعت حياته.. وإمّا أن تكون ضعيفة فلا يسمعها أحد ويضيع. لذلك فالمصلى يصرخ ويقول: "من الأعماق **صرخت** إليك يا رب".

وكانت مصارعة حقيقية, عنها يقول الكتاب: "وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ" (تك32: 24).. وماذا حدث فى هذا الصراع؟

جعل السيد المسيح يعقوب يغلبه فى المصارعة!! ليشجعه ويعيد له الثقة بالنفس, ثم قال له أنت جاهدت مع الله والناس وقدرت!! كيف هذا.. هل يستطيع أحد أن يغلب السيد المسيح؟!!

ضربه على حق فخذه!!

لم يمكث يعقوب وحده طويلاً, إنما كان فى صراع طوال الليل.. **وقد حدث أمر غريب**؛ فبعدما جعل السيد المسيح يعقوب يغلبه طوال الليل، تغيَّر الوضع وابتدأ الرب يُظهر قدرته الحقيقية؛ لذلك: "َلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ" (تك32: 25، 26).

لكن لم يهم يعقوب أن فخذه قد انخلع, بل قال له: "**لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي"** وهذا يوضح أن يعقوب كان قد اكتشف مع من كان يصارع. وكأنه يقول له: **أنا أعرف من أنت.. مادمت فى سفينتى ربى أنا مرتاح, مادمت أنت معى لا يهم ماذا يحدث. معك لا أريد شيئًا.**

لم يَخَف يعقوب لأنه عرف أن الذى ظهر له هو السيد المسيح, دخل فى عشرة مع الرب بعد أن صلى من عمق القلب, وجد الرب نفسه معه يقول له أنا أريد أن أدرّبك, لكى تفهم كيف تنال البركة..

صراع مع الحياة ومن أجل الحياة

صراع وجهاد طوال الليل، لكن يعقوب اكتشف فى النهاية أنه لم يكن يصارع مع الموت، بل كان يصارع مع الحياة، وأنه من الممكن أن يتحول الموت إلى حياة. أى أن الرب يأخذ الإنسان ويدخله فى آلام الصليب، ثم وهو فى عمق آلام الصليب يفجِّر فى داخله بهجة القيامة. كما يقول معلمنا بولس الرسول: "إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ" (رو8: 17).

هذا الصراع كان من أجل الحياة، كان فى نظر الله شيئًا ممدوحًا جدًا فى ذلك الوقت. فى هذا الصراع لم يكن يعقوب يريد أن يحيا لكى يتنعم بالعالم، بل يريد أن يحيا لكى يتحقق وعد الله فى حياته.

كان يعقوب يصارع من أجل خلاص الإنسان، من أجل خلاص البشرية كلها. ونستطيع أن نقول إنه كان فى صراع من أجل الحياة ضد عواقب الموت التى أحاطت به.

عبور فى وادى ظل الموت

ما حدث مع يعقوب كان يرمز إلى ما حدث للإنسان المنتظر خلاص الرب فى العهد الجديد إذ عبر به السيد المسيح من وادى ظل الموت، أى عبر به من الجحيم إلى الفردوس... ولم يستطِع الجحيم أن يمسكه.

من أجل ذلك فرح الرب بيعقوب جدًا، وضربه على حق فخذه!! وكأنه يقول له: أنا سُررت بقوة الحياة دبت فيك يا يعقوب، لكن لا ينبغى أن تحيا بذلك الإنسان العتيق القديم؛ إنسان الخداع الذى لبس جلود جدى على يديه لكى يخدع أباه. لكن أريد أن الذى يحيا فيك هو إنسان الحياة الجديدة الموعودة.. الإنسان الذى يتعلق بوعد الخلاص.

**لتسِر وأنت تخمع على فخذك لكى تتذكر أنى طرحت عنك أسلوب الحياة القديمة، وأخذتَ رمزيًا عبير ونسمات الأبدية تعبّق حياتك وتدفعك دومًا نحو ميراث الحياة الأبدية.**

لقد كانت مكافأة يعقوب فى تلك الليلة أن الرب خلع حق فخذه، وصار يعرج ويخمع وهو سائر عابرًا مخاضة يبوق، وهذا ما قاله معلمنا بولس الرسول: "وَلَكِنْ لَنَا هَذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ لاَ مِنَّا" (2كو4: 7).

لن أطلقك إن لم تباركنى!!

العجيب أنه فى نهاية الصراع ضربه على حق فخذه وانخلع حق فخذ يعقوب، ورغم ذلك عندما قال له: "أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ". فَقَالَ له يعقوب: "لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي" (تك32: 26).

كيف يا يعقوب؟! هل تريده أن يخلع الفخذ الثانى؟! وكان لسان حال يعقوب يقول: كلا.. ولكنى قد ذقت حلاوة الضيقة مع الرب، فحتى إن كانت الحياة مع الله فيها ضيقات، فإننى قد التقيت مع الله فى وسط الضيق، لأنه يقول لى: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ" (2كو12: 9).

لقد بدأ يعقوب يكتشف مَنْ الذى يصارع معه، **فمع الضربة أعطاه الله نعمة فصار فى حالة من التجلى أو الرؤيا**، وهكذا ارتفع عن مجرد الإحساس بالضيق.. هكذا من الممكن أن يسمح الله بتجارب فى حياتنا، لكن يعطى معها تعزيات.

لذلك تمسك به يعقوب وقال له: اضرب كما تريد لكنى لن أطلقك إن لم تباركنى. هكذا إنسان الله يفرح بالتجربة أو الضيقة ويقول مع داود النبى: "اخْتَبِرْنِي يَا اللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي" (مز139: 23).

إن كنت ترى يا رب أن هذه الضيقة تُصلِح من شأنى، فأهلاً بالتجارب، **"اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَّوِعَةٍ"** (يع1: 2).. هناك أناس فعلاً يعتبرون أن الضيقات هى بركة للحياة ويفرحون بالضيقات ويقولون مع معلمنا بولس الرسول: "إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ" (رو8: 17).

إذا كان مكتوب عن السيد المسيح نفسه فى موقف الآب منه (وإن كان الهدف مختلفًا تمامًا) "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ" (اش53: 10)، أى أن الآب السماوى سُر أن يسحق السيد المسيح بالحزن، لأن فى هذا الحزن وهذا الألم خلاص للجنس البشرى كله "لأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ" (عب2: 18). وكان السيد المسيح كنائب عن البشرية يوفى الدين الذى عليها بالنسبة للعدل الإلهى.

الآلام طريق للامتلاء بالروح القدس

الآلام طريق للامتلاء من الروح القدس.. ربما يتساءل البعض كيف نمتلئ من الروح القدس؟ اقبل الآلام بفرح تمتلئ من الروح القدس، اقبل من يد الله كل ما يأتى عليك بالشكر فتمتلئ من الروح القدس.

فكما أن الصلاة والصوم والعبادة وسيلة للامتلاء من الروح القدس، كذلك احتمال الآلام من أجل السيد المسيح بفرح هى أيضًا وسيلة للامتلاء من الروح القدس.

كما يقول معلمنا بطرس الرسول: "بَلْ كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلاَمِ الْمَسِيحِ افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلاَنِ مَجْدِهِ أَيْضاً مُبْتَهِجِينَ. إِنْ عُيِّرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ فَطُوبَى لَكُمْ، **لأَنَّ رُوحَ الْمَجْدِ وَاللهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ.** أَمَّا مِنْ جِهَتِهِمْ فَيُجَدَّفُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مِنْ جِهَتِكُمْ فَيُمَجَّدُ" (1بط4: 13، 14).

كما ذكرنا أن السيد المسيح جعل يعقوب يغلبه أولاً لكى يشجعه ويعطيه ثقة فى النفس, ثم ضربه على حق فخذه فانخلع لكى لا يتكل على ذاته, بل كما قال السيد المسيح: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي (مت16: 24).

هذا هو طريق التلمذة لئلا يظن أنه قوى وقد تغلب على الرب, كلا.. إنما لابد أن يعرف الحقيقة أن السيد المسيح قال: "بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً" (يو15: 5)، ولذلك قال معلمنا بولس الرسول: "أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي" (في4: 13).

أعطاه اسمًا جديدًا

قال يعقوب للرب: "لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي" (تك32: 26)، "فَسَأَلَهُ: "مَا اسْمُكَ؟" فَقَالَ: "يَعْقُوبُ". فَقَالَ: "لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ **إِسْرَائِيلَ** لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ" (تك32: 27، 28).

دعا الرب اسمه "إسرائيل" وبالعبرية **יִשְׂרָאֵ֑ל** أى رجل الله المحارب أو أمير الله. وهذا رمز للمعمودية، كقول معلمنا بولس الرسول: "فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ" (رو6: 4، 5).

فى المعمودية يأخذ الإنسان اسمًا جديدًا، كما يأخذ طبيعة جديدة، ويصير إنسانًا جديدًا. فيعقوب قد أخذ اسمًا جديدًا، وانكسر الإنسان العتيق وقال له هذه هى البركة التى أعطيك إياها وهى أن تصير منسوبًا إلىَّ، تصير لى لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت.

جاهدت مع الله وقدرت

أولاد الله عندما يُصلَّون، أو رجال الله فى العهد القديم أو أناس الله عمومًا عندما يُصلَّون؛ تعمل صلواتهم الكثير والكثير جدًا. صلواتهم تشق البحر الأحمر (انظر خر4)، تشق نهر الأردن (انظر يش3)، تسقِط أسوار أريحا مع الأبواق وتابوت العهد المحمول على الأكتاف (انظر يش6).

يستطيع الإنسان أن يطلب من الله أن يعمل له ما يريده. والأعجب من هذا أن الله يفرح أن هذا المصلى استطاع أن يجتذب استجابة السماء بقوة إيمانه, بشدة محبته, بلجاجة صلواته, بقوة صراخه.

من الأمور المخجلة جدًا ذاك الذى يشكو ويقول: إن عقلى يتوه أثناء الصلاة، أو يقول: أنا أضجر فى الصلاة, كيف ذلك؟!! هل أنت غير محتاج لله؟ هل ليس لديك ما تطلبه؟ هل لا توجد محاربات من الشياطين تهدد أبديتك؟!! لذلك ينبغى أن نستمر فى الصلاة ونجاهد فى جمع عقولنا، وأن تكون الصلاة بقوة وبعمق وبعاطفة وبفهم وبانسحاق وبإيمان.

لماذا تسأل عن اسمى؟

"وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ. فَقَالَ: **لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟** وَبَارَكَهُ هُنَاكَ" (تك32: 29). سأله يعقوب وقال له أخبرنى باسمك، فقال لماذا تسأل عن اسمى. عندما سأله منوح أبو شمشون نفس السؤال، أجابه: **"لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي وَهُوَ عَجِيبٌ؟"** (قض13: 18). أما هنا فربما كان يقصد هل أنت لا تعرف من أنا؟! فإن كنت تعرف فلماذا تسأل؟

"فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ "فَنِيئِيلَ" قَائِلاً: "لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي" (تك32: 30). إن كان يعقوب دعا اسم المكان بالعبرية פְּנִיאֵ֑ל فنيئيل؛ פְּנִי (فني) يعنى "وجه" و אֵ֑ל (إيل) أى الله. وقال لأنى نظرت **الله** وجهًا لوجه ونُجيت نفسى. فلماذا إذن يسأله ما اسمك؟ إن كان قد دعاه إيل كما دعا المكان الأول بيت إيل.

ولكن عمومًا فقد ذكر سفر الأمثال عن الله سؤالاً هامًا بقوله: "مَن ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الأَرْضِ؟ مَا اسْمُهُ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتَ؟" (أم30: 4). وهو يقصد أن الله له اسم سوف يعلنه السيد المسيح بعد تجسده وهو "الآب"، وأن الابن له اسم خاص سوف يعلنه الملاك جبرائيل المبشر عند تجسد الله الابن الكلمة فى ملء الزمان وهو "يسوع"، إذ قال الملاك للعذراء مريم: "هَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ **يَسُوعَ**" (لو1: 31).

و"يسوع" بالعبرى [;vuAhyهو "يهوشوع" أى "الله خلَّص". لأن "يهوه" هو اسم الله الذى أعلنه لموسى. كما أن السيد المسيح قد خاطب الله الآب قائلاً: "أَيُّهَا **الآبُ** الْبَارُّ إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ وَهَؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. **وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ** وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو17: 25، 26).

أشرقت له الشمس

"وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنُوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ" (تك32: 31), وأشرقت له الشمس أى الحياة الجديدة, كما يقول الكتاب: "وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا" (ملا4: 2). أين مخاوف الليل؟! كل شىء قد تبدد، وهكذا سار يعقوب فى منتهى القوة مع أنه يخمع على فخذه.

أشرقت الشمس ليعقوب وعبر الوادى وهو يخمع على فخذه وبدأ حياة أخرى جديدة مع الله. فالشمس التى تذيب الشمع هى نفسها التى تقسى الطين, هناك إنسان مثل يعقوب تحوّله الضيقة إلى إنسان جديد, أكثر انسحاقًا, وأكثر شعورًا بعمل الله فى حياته؛ يتحول إلى رجل آخر. بينما إنسان آخر تتعبه الضيقة وتضيعه فيهتز فى علاقته مع الله، بل ربما يضل ويبتعد عن الله!!

صلاتك قد سمعها الله.

هى فى فكره وفى قلبه، وفى إرادته أيضًا.

اتركها إذن ولا تقلق على استجابتها

يكفيك أنها دخلت إلى حضرة الله.

يكفيك أن الله قد سمعها.

ما دام الرب قد سمع الصلاة، اطمئن إذن0

(قداسة البابا شنوده الثالث)

**لقاء يعقوب بعيسو**

ورفع يعقوب عينيه ونظر، وإذا عيسو مقبل، فركض عيسو للقائه وعناقه، ووقع على عنقه وقبّله, وبكيا.. هكذا أُزيلت العداوة والغمة والخوف, **وهذا ما تصنعه الصلاة**, وحدثت المعجزة والتقى يعقوب مع عيسو, هكذا يقول الكتاب: "**إِذَا أَرْضَتِ الرَّبَّ طُرُقُ إِنْسَانٍ جَعَلَ أَعْدَاءَهُ أَيْضاً يُسَالِمُونَهُ**" (ام16: 7).

إذا كانت صلوة واحدة فى تلك الليلة من يعقوب نتج عنها كل هذه الأمور, ففى كل مرة يقف الإنسان ليصلى ليته يؤمن أنه يحرك السماء لكى تعمل. بل يمكنه أن يغيّر وجه التاريخ كله بصلواته. فى كل مرة يقف يصلى يجتذب الله للعمل بقوة واقتدار. وسوف يسجَل جهاده فى سجل الأبدية، حينما يُرى عمل الله بفعل الصلاة.

**حياة الصلاة هى طريق القداسة الحقيقية, بشرط أن تكون صلاة مقدمة من قلب فاهم وقلب منسحق, صلاة بعاطفة باتصال حقيقى بين الإنسان والله**.

فى الصلاة يتصل الإنسان بالله!! الله غير المنظور الساكن فى نور لا يدنى منه، الذى يقول عنه معلمنا بولس الرسول: "الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِناً فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ" (1تي6: 16)، فى أى وقت تتكلم معه من القلب للقلب مباشرة بدون شكليات, فى هذا الوقت تتصل بالعظمة الإلهية، ومن الممكن أن يسكب الله من نوره ويسكن فى حياتنا.

موسى النبى عندما نزل من الجبل كان وجهه يلمع "فَنَظَرَ هَارُونُ وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى وَإِذَا جِلْدُ وَجْهِهِ يَلْمَعُ فَخَافُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ" (خر34: 30)، حتى أنهم وضعوا له برقعًا لكى يستطيعوا أن يكلموه. هكذا يلمع وجه الإنسان المصلّى بالنعمة والسلام.

لكن كيف تكون الصلاة؟

صلاة واحدة يصليها الإنسان، إن كانت هذه الصلاة بالفعل هى دخول إلى الحضرة الإلهية؛ من الممكن أن تغيّر فى حياته الكثير. الصلاة التى يقول عنها الكتاب: "َمَزِّقُوا قُلُوبَكُمْ لاَ ثِيَابَكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكُمْ لأَنَّهُ رَأُوفٌ رَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّأْفَةِ وَيَنْدَمُ عَلَى الشَّرِّ" (يؤ2: 13)، صلاة فيها جهاد وصراع مع الله, فيها يقول لله لا أتركك إن لم تباركنى, كما تقول عروس النشيد: "فَأَمْسَكْتُهُ وَلَمْ أَرْخِهِ" (نش3: 4). الإنسان الذى يمسك بالله ولا يتركه إلى أن ينال منه بركة وحياة, يقول له: يا رب إنك تمنح حياة للوجود كله، وتمنح حياة للخليقة كلها, وأنا ابنك كيف لا تمنحنى حياةً؟! أنت تشبع كل حى من رضاك، فكيف لا تشبع نفسى الفقيرة الجوعانة إليك, إنسان يحس بقيمة الوجود مع الله، وقيمة الوقوف بين يديه، هذا هو الإنسان الذى صلاته يمكن أن تغيّر حياته. باستمرار يتقدم فى روحياته, باستمرار تظهر فيه ثمار الروح القدس, باستمرار ترتعب منه الشياطين, وتُهزَم أمامه.

نحن لا نهزم الشياطين بقوتنا الشخصية، ولكن حينما نكون متصلين بالله. لا يمكن أن يرتكب الإنسان خطية فى لحظة يكون فيها متصلاً بالله. فعندما يكون متصلاً بالله يشعر بحرارة روحية تسرى في كيانه، ويشعر أن الخطية من الصعب عليه أن يرتكبها..

فى الوقت الذى يشعر الإنسان بمحبة الله فى حياته؛ يكون من الصعب عليه أن يشتهى شيئًا رديئًا, من الصعب عليه أن يتكلم بكلام النميمة أو القذف بالآخرين, من الصعب عليه أن يفكر أفكارًا شريرة تبعده عن الله. فالصلاة هى حصن منيع وسياج يحميه من الخطية.

لا شك أن الإنسان الذى يسير فى طريق الخطية قد أهمل اتصاله بالله. وعلاجه سهل جدًا أن يقول لنفسه: "ارْجِعِي يَا نَفْسِي إِلَى رَاحَتِكِ" (مز116: 7)، يطلب من نفسه أن ترجع إلى أحضان الله المحب, لا ييأس. يجب ألا يعتبر الإنسان الخطية قد أصبحت جزءًا ضروريًا من حياته. لأن التحرر من الخطية سهل جدًا لإنسان يجد طريقه إلى الصلاة بفهم, الصلاة بعاطفة, الصلاة بروح الانسكاب والخشوع بين يدى الله. الصلاة هى سند وعضد العالم، مصالحة مع الله.

قنطرة لعبور التجارب، سور للتحصين ضد البلايا والمحن..

نبع الفضائل، استنارة العقل.مِعْوَل فعّال لهدم اليأس.

إعلان المستقبل، علامة المجد.

(القديس يوحنا الدرجى)

**رحلة العودة**

قم اصعد إلى بيت إيل

كان أول أمر صدر ليعقوب- إسرائيل من الله كمؤسس لجماعة بنى إسرائيل هو "قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتَِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلَّهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ" (تك35: 1). و"بيت إيل" هو المكان الذى رأى فيه يعقوب وهو هارب السلم المتصل بالسماء، واستمع إلى وعود الرب له بأن يعيده إلى هذه الأرض.

ربما كانت المشغوليات الكثيرة تحاصر يعقوب إسرائيل بعد الهجرة وتمنعه من أن يمارس العبادة، لذلك قال له الله **"قم".** مثلما قال الابن التائب "**أَقُومُ** وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي..." (لو15: 18). قال الرب ليعقوب: **"قم"** أى استعد وتهيأ بهمة قوية للعمل المقدس. اصعد من الاهتمامات العالمية إلى قمة الصلاة والشركة مع الله... **"قم واصعد"** أيضًا تعنى القيامة والحياة الجديدة التى يعقبها الصعود.

**قم واصعد...** أمر موجه لكل إنسان باستمرار، اصعد إلى بيت إيل بيت الله. هذا الصوت يدوى دومًا مع كل أجراس الكنيسة وهى ترن. قم اصعد إلى بيت إيل، وقُل: "فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي: إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ. تَقِفُ أَرْجُلُنَا فِي أَبْوَابِكِ يَا أُورُشَلِيمُ" (مز122: 1، 2)، "أَرْفَعُ عَيْنَيَّ إِلَى الْجِبَالِ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي" (مز121: 1).

قم اصعد لا تتوانى ولا تتكاسل، قم لكى تصلى.. هكذا تعلمنا الكنيسة فى صلاة نصف الليل؛ أول كلمة نصليها فى تسبحة نصف الليل: }**قوموا** يا بنى النور لنسبح رب القوات لكى ينعم علينا بخلاص نفوسنا{.

قم اصعد.. وأقم هناك

الرب يقول: "الَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي" (أم8: 17)، قم اصعد إلى بيت إيل ولكن لا يكون مرورًا عابرًا بل **وأقم هناك**. يا يعقوب قم واصعد إلى بيت إيل **واسكن هناك، انصب خيامك..** ربما تساءل يعقوب وقال: لماذا يا رب؟ فقال له الرب: ؟لأن لنا هناك أعمال جبارة فى بيت إيل سوف نعملها. لا تمر عليها مرورًا إنما **أقم هناك.**

قم اصعد وردد مع المرتل: "وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ. **أَنْ أَسْكُنَ** فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ" (مز27: 4).. فرغم أنه لم يكن فى الهيكل جسد الرب ودمه، ولا كان الصليب والخلاص الذى صنعه السيد المسيح لأجلنا، ولا الشركة بين السمائيين والأرضيين بالعمق والاتحاد العجيب الذى نحن نعيشه فى العهد الجديد.

بالرغم من هذا كله يقول داود من خلال الظلال والرموز فقط يقول: "وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ. أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ" (مز27: 4). ويقول أيضًا: "أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ هُمَا يَهْدِيَانِنِي **وَيَأْتِيَانِ بِي**([[1]](#footnote-1)) إِلَى جَبَلِ قُدْسِكَ وَإِلَى مَسَاكِنِكَ. فَآتِي إِلَى مَذْبَحِ اللهِ إِلَى اللهِ بَهْجَةِ فَرَحِي وَأَحْمَدُكَ بِالْعُودِ يَا اللهُ إِلَهِي" (مز43: 3، 4).

بيت الله هو المكان الذى يشعر الإنسان فيه أنه يجتمع مع الله، وعندما كلم الرب موسى النبى وقال له أن يصنع خيمة الاجتماع لشعب إسرائيل قال له: "وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ..." (خر25: 22)، أى أن هذا هو المكان الذى يجتمع فيه الله مع أولاده.

**أقم هناك**.. أين نجد تلك النفس التى تفرح بوجودها فى بيت الله؟ كثير من الناس فى دخولهم الكنيسة ربما دون أن يسمع الواحد منهم عظة أو أن يحضر أى صلاة فى الكنيسة؛ لكن مجرد أن يدخل بيت الله يشعر بخشوع، ويشعر برهبة المكان فيقول مع المرتل: "أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ. أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ بِخَوْفِكَ" (مز5: 7).

اصنع هناك مذبحًا

قال الرب ليعقوب: "قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتَِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ **وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلَّهِ** الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ" (تك35: 1).

تعمل هناك مذبحًا.. لماذا؟ لأنه ليست هناك عبادة ممكن أن تسر قلب الله إلا من خلال الذبيحة التى ترمز إلى ذبيحة الصليب، والتى هى فى العهد الجديد حضور فعلى حقيقى بذبيحة الصليب فى وسطنا بجسد الرب ودمه الحقيقيين فى سر الإفخارستيا أى فى القداس الإلهى.

من خلال الذبيحة استطاع يعقوب **أن يرى الله** الذى جدد له الوعد، وأكد له أن أممًا وملوكًا سوف يخرجون منه. هكذا يقول الكتاب: "**وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضاً**... وَقَالَ لَهُ اللهُ أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ. وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ. وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ لَكَ أُعْطِيهَا. وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ" (تك35: 9-12). هذه المواعيد ترمز إلى الميراث الأبدى فى المسيح.

أقسى التجارب

إن يعقوب فى حياته الخاصة -كما رأينا- قد تدرج فى عشرته مع الله وتعلم الكثير، وبعد مراحل كثيرة من التعب والتجارب والضيقات ظهر له السيد المسيح وصارعه وباركه وأعطاه اسمًا جديدًا، وخلع حق فخذه فصار يخمع أى يعرج لكى لا يتكل على ذاته.

لقد لاقى يعقوب كثيرًا من التجارب أيضًا بعد هذا، وكانت من أشد التجارب التى احتملها يعقوب فى حياته هو اختفاء ابنه يوسف الذى كان يحبه بعد موت راحيل. ماتت راحيل زوجته المحبوبة واختفى يوسف، وأخبروا يعقوب أن يوسف قد مات إذ افترسه وحش ردىء، وظل يعقوب يبكى واجتمع أولاده لكى يعزوه، فقال: "إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحاً إِلَى الْهَاوِيَةِ" (تك37: 35) ولم يقبل أن يتعزى.

لا تخف من النزول إلى مصر

بعد أن تقابل يوسف مع إخوته فى مصر([[2]](#footnote-2))، وقال لهم: "أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّداً لِكُلِّ مِصْرَ. انْزِلْ إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ. فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونَ قَرِيباً مِنِّي أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ" (تك45: 9، 10).

وظهر الرب ليعقوب فى رؤى الليل قبل أن يذهب إلى مصر، وقال له يا يعقوب انزل إلى مصر وأنا سأكون معك، والوعد الذى وعدتك به أن نسلك سيرث هذه الأرض لابد أن يتحقق. هكذا يقول الكتاب: "فَكَلَّمَ اللهُ إِسْرَائِيلَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَقَالَ: "يَعْقُوبُ يَعْقُوبُ" فَقَالَ: "هَئَنَذَا". فَقَالَ: "أَنَا اللهُ إِلَهُ أَبِيكَ. لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُولِ إِلَى مِصْرَ لأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً هُنَاكَ. **أَنَا أَنْزِلُ مَعَكَ إِلَى مِصْرَ وَأَنَا أُصْعِدُكَ أَيْضاً.** وَيَضَعُ يُوسُفُ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْكَ". فَقَامَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ. وَحَمَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ أَبَاهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ فِي الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَ فِرْعَوْنُ لِحَمْلِهِ. وَأَخَذُوا مَوَاشِيَهُمْ وَمُقْتَنَاهُمُ الَّذِي اقْتَنُوا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَجَاءُوا إِلَى مِصْرَ. يَعْقُوبُ وَكُلُّ نَسْلِهِ مَعَهُ. بَنُوهُ وَبَنُو بَنِيهِ مَعَهُ وَبَنَاتُهُ وَبَنَاتُ بَنِيهِ وَكُلُّ نَسْلِهِ جَاءَ بِهِمْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ" (تك46: 1-7).

من مصر دعوت ابنى

وذهب يعقوب إلى مصر وهو يعلم أنه سوف يعود مرة أخرى، وجاء بعد ذلك هوشع النبى ليقول: "لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَماً أَحْبَبْتُهُ وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي" (هو11: 1). بالفعل صعد إسرائيل من مصر. فعندما قال له الرب أنا أنزل معك وأنا أُصعدك, وإن كان يعقوب لم يرجع من مصر إلا بعد وفاته؛ إذ رجعوا ودفنوه هناك. فقد كان يقصد بقوله "أنا أُصعدك" أى أصعد نسلك، لأن نسلك هو امتداد لحياتك أنت.

كل الأحزان قد تحوّلت إلى أفراح كما وعد السيد المسيح وقال: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ. أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ وَلَكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ... وَلاَ يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ" (يو16: 20، 22)، لقد تحوّلت أحزان يعقوب كلها إلى أمجاد فى النهاية، وتحوّلت إلى أفراح. ورأى يوسف وهو ملك على مصر، وجمع أولاده فى النهاية وأخبرهم بروح النبوة بما يصيبهم فى آخر الأيام؛ وقال: "لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ.. وضَمَّ رِجْلَيْهِ إِلَى السَّرِيرِ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ" (تك49: 18، 33)

لا تحاول أن تأخذ كل حقوقك على الأرض،

فمن الخير أن تأخذها هناك

حيث يمسح الله كل دمعة من عينيك..

(قداسة البابا شنوده الثالث)

**يعقوب ونبواته عن الأسباط**

أبناء يعقوب الاثنا عشر

"بَنُو لَيْئَةَ رَأُوبَيْنُ بِكْرُ يَعْقُوبَ وَشَمْعُونُ وَلاَوِي وَيَهُوذَا وَيَسَّاكَرُ وَزَبُولُونُ. وَابْنَا رَاحِيلَ؛ يُوسُفُ وَبِنْيَامِينُ. **وَابْنَا بِلْهَةَ جَارِيَةِ رَاحِيلَ**: دَانُ وَنَفْتَالِي. وَابْنَا زِلْفَةَ جَارِيَةِ لَيْئَةَ: جَادُ وَأَشِيرُ. هَؤُلاَءِ بَنُو يَعْقُوبَ الَّذِينَ وُلِدُوا لَهُ فِي فَدَّانَِ أَرَامَ" (تك35: 23- 26)...

وفى آخر أيام يعقوب دعا بنيه، "وَقَالَ: "اجْتَمِعُوا لأُنْبِئَكُمْ **بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الأَيَّامِ.** اِجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا بَنِي يَعْقُوبَ وَاصْغُوا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ" (تك49: 1، 2).

✞ رَأُوبَيْنُ

**"رَأُوبَيْنُ أَنْتَ بِكْرِي قُوَّتِي وَأَوَّلُ قُدْرَتِي فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ" (تك49: 3).**

عندما سمع رأوبين هذه الكلمات فرح جدًا، وقال إن كان أبى يقول عنى "فضل الرفعة وفضل العز", إذن لأطمئن أننى البكر، خاصة عندما يقول أيضًا أنت بكرى قوتى وأول قدرتى، لكن كان رأوبين بكرًا حسب الجسد.. وأكمل يعقوب الكلام ولم يكن يتكلم من نفسه إنما الروح القدس الذى ينطق على لسانه، قال له:

**"فَائِراً كَالْمَاءِ لاَ تَتَفَضَّلُ لأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ. حِينَئِذٍ دَنَّسْتَهُ. عَلَى فِرَاشِي صَعِدَ" (تك49: 4).**

يقول إنه صعد على فراشى أى أنه أخذ امرأتى.. كيف يكون هذا بكرًا؟! لا يصلح أن يكون بكرًا، فائرًا كالماء لا تتفضل، أى كالماء الذى يغلى فلا تجده بعد قليل إذ يكون قد تبخر، هكذا الإنسان الذى يضيع النعمة والبركة التى أعطاها الله له. وكأنه يقول له إن بكوريتك قد صارت مثل البخار يا رأوبين، كما يقول الكتاب: "مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ" (يع4 :14). والملاحظ أن رأوبين قد أخطأ مع بلهة جارية راحيل، وهى التى أنجبت أولاً دان الذى قال عنه يعقوب أسوأ النبوات كما سوف نرى.

✞ شَمْعُونُ وَلاَوِي

**"شَمْعُونُ وَلاَوِي أَخَوَانِ. آلاَتُ ظُلْمٍ سُيُوفُهُمَا. فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي. بِمَجْمَعِهِمَا لاَ تَتَّحِدُ كَرَامَتِي. لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَاناً وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْراً. مَلْعُونٌ غَضَبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ. أُقَسِّمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ وَأُفَرِّقُهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ" (تك49: 5- 7).**

شمعون ولاوى قد صنعا بأهل شكيم أمرًا وحشيًا، إذ قاما عليهم بغدر، وقتلا كل ذكر منهم عندما ضاجع شكيم ابن حمور رئيسهم أختهما دينه. وعندما طلب شكيم أن يتزوج الفتاة، لم يقبل أخواها شمعون ولاوى هذا بعد أن أذلها، فكلّموه بمكر قائلين: لكى نقبلك لابد أن تختتنوا جميعًا مثلنا.

ولمحبة شكيم لدينا قبل أن يختتن هو وكل أهل شكيم. ويقول الكتاب: "فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِالثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ" (تك34: 25). وهذا نوع من الغدر غير اللائق.

فى ذلك الوقت "َقَالَ يَعْقُوبُ لِشَمْعُونَ وَلاَوِي: "كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِيِّينَ وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي" (انظر تك34).

وأمام عملهما الوحشى هذا لم يستطِع يعقوب أن يعمل شيئًا. أما فى تلك اللحظات الحاسمة التى فيها الإعلان, يوم تُفتح الأسفار وتُكشَف الأعمال. ويُعلَن عن من يأخذ بركة فيأخذها، ومن يستحق البكورية يستلمها، ولا مجال للقوة الجسدية التى لا تنفع شيئًا.

ملعون غضبهما لأنه شديد

قال يعقوب شمعون ولاوى أخوان، لكن أخوان لم يتفقا على الخير، بل "آلاَتُ ظُلْمٍ سُيُوفُهُمَا. فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي. بِمَجْمَعِهِمَا لاَ تَتَّحِدُ كَرَامَتِي... مَلْعُونٌ غَضَبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ" (تك49: 5-7). لم يلعنهما لأن يعقوب قد أخذ البركة من الله، فلا يليق أن يلعن النسل الذى أخد البركة، لذلك لعن الظلم والغضب الذى فيهما.

ومن سبط لاوى ومن نسله جاء هارون الكاهن، ومن نسل هارون جاء الكهنوت الإسرائيلى كله, بما فى ذلك قيافا رئيس الكهنة وحنان.

وماذا فعل قيافا وحنان؟ قال قيافا عن السيد المسيح: "أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا" (يو11: 50). وحنان كان رئيسًا للكهنة قبل زوج ابنته قيافا رئيس الكهنة الذى فى عهده صلب السيد المسيح، وهو مع قيافا اللذان قادا مجمع اليهود الذى حكم على السيد المسيح أنه مستوجب الموت.

فى مجلسهما لا تدخل نفسى!!

حين تكلم يعقوب بالروح القدس وقال "فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي", لأن المزمور يقول: "اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ. فِي وَسَطِ الآلِهَةِ يَقْضِي" (مز82: 1), ومن هم أولئك الآلِهَةِ؟ يقول المزمور أيضًا: "أنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ" (مز82: 6).

كان من الواجب عندما يجتمع مجمع السنهدرين الذى لليهود، لابد أن يكون الله فى الوسط لأنه مكتوب "اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ" (مز82: 1). فكلما اجتمع مجمع مقدس يجب أن يكون الله فى وسطه لأنه يمثل شعب الله لذلك يقول معلمنا بطرس الرسول: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ" (1بط2: 9).

بمجمعهما لا تتحد كرامتى

فعندما يجتمع رؤساء الكهنة, ويجتمع الكهنة مع رئيس الكهنة من المفروض أن يكون الرب حاضرًا فى وسطهم. أما يعقوب فيقول: فى مجلسهما لا تدخل نفسى.. لماذا؟! يقول لأنه مجلس ظلم. فى مجمعهما –أى مجمع السنهدرين- لا تتحد كرامتى.

إذا كان السيد المسيح خالق السماء والأرض ورب الكل, وهو واقف يحاكَم أمام مجمع السنهدرين، وبينما رئيس الكهنة يكلمه والسيد المسيح يجيبه، لطم واحد من الخدام السيد المسيح!! كيف ذلك؟ أين الكرامة هنا؟ هكذا يقول الكتاب: "وَلَمَّا قَالَ هَذَا لَطَمَ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنَ الْخُدَّامِ كَانَ وَاقِفاً قَائِلاً: أَهَكَذَا تُجَاوِبُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ؟" (يو18: 22).

فى مجمعهما لا تتحد كرامتى, فتلك اللطمة فى الحقيقة كانت تعبيرًا منظورًا محسوسًا عن حقيقة الوضع, كيف ذلك؟

إن هذه اللطمة أوضحت ما يكنه رؤساء كهنة اليهود من البغضة والحقد والغيظ والكراهية والرغبة فى محاكمة السيد المسيح. كما قال معلمنا بطرس الرسول لليهود عن السيد المسيح: "هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ" (اع2: 23).

عندما جاء السيد المسيح إلى العالم جاء لكى يكشف الإنسان فى الحقيقة، كما يقول الكتاب عنه: "وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجاً أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَان" (يو2: 25). الإنسان عبارة عن مقبرة ممتلئة نتنًا ومغلقة ومزينة من الخارج. فجاء السيد المسيح لكى يفتح الباب ولكى يكتشف الإنسان حقيقة نفسه. وعن هذا يقول معلمنا بولس الرسول: "فَاللَّهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ" (رو8: 3).. **كيف دان الخطية؟**

دانها من عدة زوايا: أولاً أنه لم يفعل خطية، وقال: "مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟" (يو8: 46)، ومن ناحية أخرى أن البر الذى فى المسيح قد صوبت إليه سهام القتل والرفض، فقال رفضونى أنا الحبيب مثل ميت مرزول "نُسِيتُ مِنَ الْقَلْبِ مِثْلَ الْمَيْتِ. صِرْتُ مِثْلَ إِنَاءٍ مُتْلَفٍ" (مز31: 12).

وهكذا نرى كيف فقد شمعون ولاوى البكورية أيضًا بعد أن فقدها رأوبين المولود قبلهما.

✞ يَهُوذَا

ثم جاء يعقوب إلى يهوذا وهو الرابع فى ترتيب المواليد.. نظر إليه بروح النبوة، فلم يرَ أمامه يهوذا ابنه، إذ جعل الروح القدس شكل يهوذا فى نظر يعقوب أبيه يظهر برؤية نبوية. فقال له:

**"يَهُوذَا إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ. يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ. يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ. يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ. مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي. جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ. مَنْ يُنْهِضُهُ؟. لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. رَابِطاً بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ. غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ. مُسْوَدُّ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ وَمُبْيَضُّ الأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ" (تك49: 8- 12)**

إذا كان بلعام ابن بعور نطق وقال: "أَرَاهُ وَلكِنْ ليْسَ الآنَ. أُبْصِرُهُ وَلكِنْ ليْسَ قَرِيباً. يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيل فَيُحَطِّمُ طَرَفَيْ مُوآبَ وَيُهْلِكُ كُل بَنِي الوَغَى" (عد24: 17). إذا كان بلعام الرجل الشرير حينما كان نبيًا وانكشفت عن عينيه الرؤيا النبوية فرأى السيد المسيح نبويًا وتكلم عنه، فكيف يكون الحال مع يعقوب القديس، أب الآباء، البطريرك العظيم، أب الأسباط، الذى باركة الله وقال لا يعود يدعى اسمك يعقوب بل إسرائيل؟!

لقد أعلن يعقوب أنه يرى فى شخص يهوذا النسل المقدس المبارك، لأنه من نسل يهوذا سوف يأتى السيد المسيح. شيلون الذى هو رئيس السلام.

"غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ": كما قال فى نبوة أشعياء: "قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ وَحْدِي وَمِنَ الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ. فَدُسْتُهُمْ بِغَضَبِي وَوَطِئْتُهُمْ بِغَيْظِي. فَرُشَّ عَصِيرُهُمْ عَلَى ثِيَابِي فَلَطَخْتُ كُلَّ مَلاَبِسِي" (اش63: 3).

"رَابِطاً بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ" وهذا قد تحقق فى دخول السيد المسيح فى أحد الشعانين إلى أورشليم راكبًا أتان وعلى جحش ابن أتان، وتحققت النبوات "قُولُوا لاِبْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعاً رَاكِباً عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ" (مت21: 5)، هكذا مكتوب عنه فى نبوة زكريا النبى: "اِبْتَهِجِي جِدّاً يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ" (زك9: 9).

هكذا تكلم عن مُلك السيد المسيح فى دخوله إلى أورشليم، وصليبه، ودمه الذى سُفك على الصليب، وتكلم عن الفداء، وعن الخلاص... هنا يتضح أن البكورية قد انتقلت من رأوبين وعبرت شمعون ولاوى وأُعطيت ليهوذا. مثلما انتقلت البكورية من آدم الأول إلى السيد المسيح آدم الثانى([[3]](#footnote-3))، وقال عنه معلمنا بولس الرسول: "لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رو8: 29) يقول: "وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ" (عب1: 6).

ثم تكلم يعقوب عن باقى أولاده، كما يلى:

✞ زَبُولُونُ

**"زَبُولُونُ عِنْدَ سَاحِلِ الْبَحْرِ يَسْكُنُ وَهُوَ عِنْدَ سَاحِلِ السُّفُنِ وَجَانِبُهُ عِنْدَ صَيْدُونَ" (تك49: 13).**

سكن سبط زبولون غرب نهر الأردن، وفى قوله عند ساحل البحر يسكن أى سيكون له اتصال بالأمم. فقد عُرف البحر كرمز للأمم والنهر كرمز لليهود، هكذا يلتحم الاثنان معًا كقطيع واحد.

هنا إشارة إلى دعوة الأمم، كما تقول النبوة عن بشارة الإنجيل: "أَرْضُ زَبُولُونَ وَأَرْضُ نَفْتَالِيمَ طَرِيقُ الْبَحْرِ عَبْرُ الأُرْدُنِّ جَلِيلُ الأُمَمِ. الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُوراً عَظِيماً وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ" (مت4: 15، 16).

✞ يَسَّاكَرُ

**"يَسَّاكَرُ حِمَارٌ جَسِيمٌ رَابِضٌ بَيْنَ الْحَظَائِرِ. فَرَأَى الْمَحَلَّ أَنَّهُ حَسَنٌ وَالأَرْضَ أَنَّهَا نَزِهَةٌ فَأَحْنَى كَتِفَهُ لِلْحِمْلِ وَصَارَ لِلْجِزْيَةِ عَبْداً" (تك49: 14، 15).**

وهنا يشبه يساكر بحمار يحمل أثقال الآخرين، حانيًا كتفى محبته للمتعبين، ومستعبدًا نفسه ليحرر الآخرين. وفى قوله رأى الأرض أنها نزهة أى دسمة إشارة إلى العطايا الإلهية التى يهبها الله لنا كأعضاء فى جسده.

✞ دَانُ

"دَانُ يَدِينُ شَعْبَهُ كَأَحَدِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ. يَكُونُ دَانُ **حَيَّةً** عَلَى الطَّرِيقِ **أُفْعُواناً** عَلَى السَّبِيلِ **يَلْسَعُ** عَقِبَيِ الْفَرَسِ **فَيَسْقُطُ رَاكِبُهُ إِلَى الْوَرَاءِ.** لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ" (تك49: 16-18).

قيل أن ضد المسيح يخرج من سبط دان قبيل يوم الدينونة، لذلك قال عنه إنه يسبب الارتداد إلى الوراء كما قيل عنه إنه حية فى لدغه وفى خداعه. ودلل البعض على ذلك من قول الكتاب: "مِنْ دَانَ سُمِعَتْ حَمْحَمَةُ خَيْلِهِ. عِنْدَ صَوْتِ صَهِيلِ جِيَادِهِ ارْتَجَفَتْ كُلُّ الأَرْضِ. فَأَتُوا وَأَكَلُوا الأَرْضَ وَمِلأَهَا الْمَدِينَةَ وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا. لأَنِّي هَئَنَذَا مُرْسِلٌ عَلَيْكُمْ **حَيَّاتٍ أَفَاعِيَ** لاَ تُرْقَى فَتَلْدَغُكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ" (ار8: 16، 17).

وكذلك كانت كلمات موسى النبى عنه إذ قال: "دَانُ شِبْلُ أَسَدٍ يَثِبُ مِنْ بَاشَانَ" (تث33: 22). فكما جاء السيد المسيح من سبط يهوذا كأسد، فإن ضد المسيح يبذل كل طاقته لخداع البشر فيخرج من سبط دان كأسد.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن سبط دان قد شطبه الوحى فى سفر الرؤيا عند ذكر المختومين من كل سبط، لأنه ذكر سبط يوسف (رؤ7: 8) وسبط لاوى ضمن الأسباط الاثنى عشر. والمعروف أن سبط يوسف كان يُذكر بابنيه منسى وأفرايم، لأن سبط لاوى كان نصيبه الرب عند تقسيم الأرض على الاثنى عشر سبط، ولو أحصى لاوى ضمن الاثنى عشر فيذكر يوسف فقط بدون واحد من ابنيه لكى يكون عدد الأسباط اثنى عشر. وبذلك نرى أن الوحى فى العهد الجديد فى سفر الرؤيا يدين سبط دان.

✞ جَادُ

**"جَادُ يَزْحَمُهُ جَيْشٌ وَلَكِنَّهُ يَزْحَمُ مُؤَخَّرَهُ" (تك49: 19).** كان جبابرة سبط جاد مرافقين لداود فى صقلغ، إذ قيل عنهم: "وَمِنَ الْجَادِيِّينَ انْفَصَلَ إِلَى دَاوُدَ إِلَى الْحِصْنِ فِي الْبَرِّيَّةِ جَبَابِرَةُ الْبَأْسِ رِجَالُ جَيْشٍ لِلْحَرْبِ, صَافُّو أَتْرَاسٍ وَرِمَاحٍ, وَوُجُوهُهُمْ كَوُجُوهِ الأُسُودِ, وَهُمْ كَالظَّبْيِ عَلَى الْجِبَالِ فِي السُّرْعَةِ... صَغِيرُهُمْ لِمِئَةٍ وَالْكَبِيرُ لأَلْفٍ" (1أى12: 8-14). لذلك فإن جاد يمثل النفس التى تتعرض لحروب روحية كثيرة، ولكنها لا تتوقف عن الجهاد بل تسرع كالظبى نحو أورشليم السمائية.

✞ أَشِيرُ

**"أَشِيرُ خُبْزُهُ سَمِينٌ وَهُوَ يُعْطِي لَذَّاتِ مُلُوكٍ" (تك49: 20).**

أى أنه كثير الخيرات، كما تنبأ عنه موسى النبى أيضًا فقال: "مُبَارَكٌ مِنَ البَنِينَ أَشِيرُ. لِيَكُنْ مَقْبُولاً مِنْ إِخْوَتِهِ وَيَغْمِسْ فِي الزَّيْتِ رِجْلهُ" (تث33: 24). ويشير إلى فيض النعمة فى حياة المجاهدين الروحيين.

✞ نَفْتَالِي

**"نَفْتَالِي أَيِّلَةٌ مُسَيَّبَةٌ يُعْطِي أَقْوَالاً حَسَنَةً" (تك49: 21).**

فى محبته للحرية يشبه أنثى الأيل المنطلقة، لكن هذه الحرية ليست فرصة للشر إنما التزم بعلاقة طيبة مع باقى الأسباط مقدمًا أقوالاً حسنة. هكذا صار نفتالى يمثل النفس الرقيقة فى تعاملها مع إخوتها تنعم ببركة الرب.

وقد ترنمت دبوره قاضية إسرائيل قائلة: "زَبُولُونُ شَعْبٌ أَهَانَ نَفْسَهُ إِلَى الْمَوْتِ مَعَ نَفْتَالِي عَلَى رَوَابِي الْحَقْلِ" (قض5: 18)، إشارة إلى مدى جهادهم فى الحرب. وباركهم موسى النبى وقال: "وَلِنَفْتَالِي قَال: يَا نَفْتَالِي اشْبَعْ رِضىً وَامْتَلِئْ بَرَكَةً مِنَ الرَّبِّ وَامْلِكِ الغَرْبَ وَالجَنُوبَ" (تث33: 23).

✞ يُوسُفُ

**"يُوسُفُ غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ. أَغْصَانٌ قَدِ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطٍ. فَمَرَّرَتْهُ وَرَمَتْهُ وَاضْطَهَدَتْهُ أَرْبَابُ السِّهَامِ. وَلَكِنْ ثَبَتَتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ. مِنْ يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ. مِنْ إِلَهِ أَبِيكَ الَّذِي يُعِينُكَ وَمِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يُبَارِكُكَ تَأْتِي بَرَكَاتُ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَبَرَكَاتُ الْغَمْرِ الرَّابِضِ تَحْتُ. بَرَكَاتُ الثَّدْيَيْنِ وَالرَّحِمِ. بَرَكَاتُ أَبِيكَ فَاقَتْ عَلَى بَرَكَاتِ أَبَوَيَّ. إِلَى مُنْيَةِ الآكَامِ الدَّهْرِيَّةِ تَكُونُ عَلَى رَأْسِ يُوسُفَ وَعَلَى قِمَّةِ نَذِيرِ إِخْوَتِهِ" (تك49: 22-26).**

نال يوسف مدحًا أكثر من كل إخوته، فقد كان أمينًا فى علاقته مع الله، ومُحبًا للجميع. لذا دعاه أبوه غصن شجرة مثمرة يثمر حبًا سماويًا. فيوسف يمثل النفس الأمينة للرب التى لا تتوقف عن تقديم الحب بالرغم من كثرة المقاومات. وأخذ يوسف نصيب البكر أى نصيب اثنين فى الميراث، إذ حسب يعقوب ابنى يوسف افرايم ومنسى كأولاده، عندما قال له: "وَالآنَ ابْنَاكَ الْمَوْلُودَانِ لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ قَبْلَمَا أَتَيْتُ إِلَيْكَ إِلَى مِصْرَ هُمَا لِي. أَفْرَايِمُ وَمَنَسَّى كَرَأُوبَيْنَ وَشَمْعُونَ يَكُونَانِ لِي. وَأَمَّا أَوْلاَدُكَ الَّذِينَ تَلِدُ بَعْدَهُمَا فَيَكُونُونَ لَكَ. عَلَى اسْمِ أَخَوَيْهِمْ يُسَمُّونَ فِي نَصِيبِهِمْ" (تك48: 5، 6). الحديث هنا ينطبق بالأكثر على السيد المسيح الذى حسده إخوته، وقام ضده أرباب السهام أى قادة الشعب، ولكن انكسرت أقوسهم معلنًا على الصليب النصرة ضد قوات الشر.

✞ بِنْيَامِينُ

**"بِنْيَامِينُ ذِئْبٌ يَفْتَرِسُ. فِي الصَّبَاحِ يَأْكُلُ غَنِيمَةً وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يُقَسِّمُ نَهْباً" (تك49: 27).**

ربما تشير النبوة إلى شاول الملك الذى من سبط بنيامين، فقد كان ذئبًا حاول أن يفترس داود الملك.

من يشرف أباه تطول أيامه،

وفي يوم وفاته يجد نعمة،

أكرم أباك بالقول والفعل،

لترد إليك البركة منه.

(مار افرام السريانى)

**إشارات نبوية**

فى تلك الأحداث من حياة يعقوب التى سُجلت فى الكتاب المقدس كانت هناك إشارات نبوية أى نبوات ورموز عن السيد المسيح؛ نذكر منها:

✞ فى نواله البكورية

كما أن يعقوب فى نواله للبركة والبكورية قد أثار غيظ عيسو حتى أنه أراد أن يقتله، هكذا السيد المسيح الذى كان بكرًا بين إخوة كثيرين، بالرغم أن اليهود سبقوه حسب الجسد لكنه كان البكر فى كل شيء. وفى بكوريته وفى بره قد أثار غضب اليهود الفريسيين والكهنة وتآمروا ليقتلوه.

✞ فى هروبه من عيسو

يعقوب أيضًا فى هروبه من وجه عيسو الذى اضطهده والذى أراد أن يقتله، كان يرمز للسيد المسيح الذى هرب من هيرودس الملك الذى أراد قتله. حتى وإن كان السيد المسيح قد هرب ليس خوفًا من هيرودس –كما كان يعقوب خائفًا من عيسو- ولكن لكى يعلمنا أن نهرب من وجه الشر رغم أنه قادر أن يصده.

✞ فى زواجه من ليئة وراحيل

يعقوب فى زواجه من ليئة وراحيل كان رمزًا للسيد المسيح، الذى اتحد بكنيسته من اليهود والأمم. إذا اعتبرنا أن واحدة ترمز لكنيسة الختان التى هى ليئة، والثانية ترمز لكنيسة الأمم. لكن ليس بالضرورة أن يتطابق الرمز مع المرموز إليه فى كل شيء.

✞ فى صراعه مع الله

أما النبوة فى صراع يعقوب مع السيد المسيح، وكيف أن يعقوب يغلب السيد المسيح أولاً، ثم يعود السيد فيضربه على حق فخذه فهى:

أن من نسل يعقوب إسرائيل يأتى اليهود أى شعب إسرائيل الذين سوف يصلبون السيد المسيح. ساعة أن أمسكوه وربطوه كأنه أعطاهم فرصة أن يغلبوه. لكن بعد ذلك يقول الكتاب "وَقَالَ: أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ **قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ**" (تك32: 26).

ففى فجر الأحد ضرب السيد المسيح شعب إسرائيل على حق فخذه فانخلع، أى أن القيامة بددت كل مؤامرات اليهود.. هذا هو البعد النبوى للحادثة. لكن ليس المقصود إسرائيل فى شخصه لأنه قديس وقد أحبه الله، لكن من بنيه سيكون أناس يسمون إسرائيل أيضًا، ويفعلون فعلتهم الرديئة وهى صلب السيد المسيح. لقد تركهم يقبضون عليه, وتركهم يلطمونه, وكان وقت المحاكمة كما لو كانوا هم المنتصرون.

لكن كما نقول فى ألحان يوم الجمعة العظيمة }قدوس الله الذى أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة{, لأنه سحق سلطان الموت, سحق سلطان الخطية, وأباد الموت وأنار الحياة, كقول معلمنا بولس الرسول: "مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ (2تي1: 10).

✞ أصداء لكلمات الرب يسوع

فى قول الكتاب: "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ.." (تك32: 24). نرى ونسمع أصداء كلمات الرب يسوع حينما قال "لأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو8: 16). لقد قدم لنا السيد المسيح مثالاً واضحًا فى بستان جثسيمانى عندما كان فى لحظة آلامه قال: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدّاً حَتَّى الْمَوْت" (مر14: 34).

ترك التلاميذ وأخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وقال لهم امكثوا أنتم هنا وتقدم "وَأنْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى" (لو22: 41) "وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ" (لو22: 43- 44)..

كان يجاهد فى الصلاة, جاهد مع الله, وجاهد مع الناس, واحتمل ظلم الأشرار, جاهد مع الناس الذين اجتذبهم إلى قبول الحياة الأبدية, حتى صاروا له تلاميذ وأرسلهم ليكرزوا بإنجيل الحياة.

✞ إيمان شعب إسرائيل

عندما ضرب السيد المسيح يعقوب على حق فخذه فانخلع وصار يخمع، كان المعنى النبوى أن بعض من شعب إسرائيل قد آمن بالسيد المسيح والبعض لم يؤمن مثل إنسان يمشى برجل واحدة ويعرج على الثانية. وقال له سيكون إسرائيل أى أمير الله, لأنك تكون لى شعب مختار ومن نسلك يأتى المخلص الفادى.

كما كان خلع حق فخذ يعقوب رمزًا أيضًا للصليب الذى حمله السيد المسيح.

✞ فى طلب بركة من الرب

لقد تمسك يعقوب بالسيد المسيح طالبًا البركة منه. وربما سأله لماذا تريد أخذ بركة منى مادمت قد أخذت البركة من أبيك إسحاق؟! لكن يعقوب قال له: وإن كنتُ قد أخذتُ البركة من أبى إسحاق فهى عربون، لكن بركتك أنت فوق الكل.

ولذلك فبالرغم من أن شعب إسرائيل كان له العهود والمواعيد والاشتراع, لكن جاء السيد المسيح متجسدًا، وأعطى البركة لكنيسته بحضوره شخصيًا...

لقد كان اليهود أمة مقدسة وشعب اقتناء, وكان لهم العهود والمواعيد عبر الأجيال وبواسطة الأنبياء القديسين, حتى أن السيد المسيح نفسه قَبِل أن يعمده يوحنا المعمدان -وهو كاهن وابن كاهن- في نهر الأردن, "وَلَكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ! فَقَالَ يَسُوعُ لَهُ: اسْمَحِ الآنَ لأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ" (مت3: 14، 15).

لكن ليس يوحنا هو الذى مسح السيد المسيح لأنه يقول "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي" (لو4 :18)، أى مسحه الآب السماوى. وبعد ذلك بدأ السيد المسيح يعطى البركة لكنيسته حتى أنه فى يوم صعوده, "وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجاً إِلَى بَيْتِ عَنْيَا وَرَفَعَ يَدَيْهِ **وَبَارَكَهُمْ**. وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ" (لو24: 50, 51).. بركات كثيرة جداَ أخذتها الكنيسة.

فإن قال السيد المسيح ليعقوب: أما يكفيك بركة أبيك إسحاق؟ يقول له يعقوب: كلا.. لكن مادمت أنت قد ظهرت، ليتك تباركنى، كما سوف تبارك الكنيسة فى مجيئك بنفس شخصك الإلهى غير المخلوق، وتجسدك من العذراء مريم بفعل الروح القدس فى ملء الزمان.

فالبركة التى أعطاها الله ليعقوب تعنى أن فى نسله تتبارك جميع قبائل الأرض كما وعده من قبل عندما ظهر له فى الحلم على السلم السماوى وقال له: "وَيَتَبَارَكُ فِيكَ **وَفِي نَسْلِكَ** جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (تك28: 14).

✞ جاهد مع الله والناس وقَدِر

إذا كانت هذه العبارة قد قيلت عن يعقوب, فالذى يستحقها بصورة مطلقة وكاملة هو السيد المسيح, لأنه جاهد مع الله والناس وقَدِر, وكيف جاهد؟ على الصليب طلب المغفرة لخطايا البشر، وكما قال أشعياء النبى: "وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (اش53: 12)، وقال للآب السماوى: "يَا أَبَتَاهُ إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ" (مت26: 42).

✞ أنزل إلى ابنى إلى الهاوية

يعقوب عندما أخبره أولاده بافتراس يوسف، وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ وَأَحْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ وَقَالُوا: "وَجَدْنَا هَذَا. حَقِّقْ أَقَمِيصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لاَ؟. فَتَحَقَّقَهُ وَقَالَ: "قَمِيصُ ابْنِي. وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ! افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاساً!".

وقال لأولاده "إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحاً إِلَى الْهَاوِيَةِ" (تك37: 32- 35).

كان رمزًا للسيد المسيح، لأن السيد المسيح نزل إلى الجحيم من قبل الصليب. هكذا يقول معلمنا بولس الرسول: "وَأَمَّا أَنَّهُ صَعِدَ، فَمَا هُوَ إِلاَّ إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضاً أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى. الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأ الْكُلَّ" (أف4: 9، 10).

✞ أبو الأسباط

كان يعقوب فى أبوته للأسباط الاثنى عشر يرمز إلى السيد المسيح الذى اختار اثنى عشر تلميذًا، وأقامهم لكى يكرزوا العالم كله. فإن كان يعقوب وأولاده الاثنا عشر يمثل كنيسة العهد القديم، فالسيد المسيح مع تلاميذه الاثنى عشر يمثلون كنيسة العهد الجديد.

**على مشارف الأبدية**

حينما يأتى أولاد الله إلى نهاية هذه الغربة إلى مشارف الأبدية، وينظرون وراءهم ويتطلعون إلى كل ما مر بحياتهم، وإلى كل ما صنعه الله معهم. ينظرون أن الله حقًا قد صنع كل شئ، "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدّاً" (تك1: 31).

حينما تنتهى حياة الإنسان وحينما يصل إلى مشارف الأبدية، يعرف أن كل ما عمله الله هو حسنٌ جدًا, "وَلَكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ" (مت10: 22)، "هَا نَحْنُ نُطَّوِبُ الصَّابِرِينَ. قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ. لأَنَّ الرَّبَّ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَرَؤُوفٌ" (يع5: 11).

ونقول أيضًا ها أنتم تسمعون الآن بصبر يعقوب وجهاده وتعبه ومشقته، وتنظرون أيضًا عَاقِبَةَ الرَّبِّ معه.

أسلم الروح وانضم إلى قومه

يقول الكتاب: "وَلَمَّا فَرَغَ يَعْقُوبُ مِنْ تَوْصِيَةِ بَنِيهِ ضَمَّ رِجْلَيْهِ إِلَى السَّرِيرِ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ" (تك49: 33). قال لهم أنا ذاهب إلى طريق الأرض كلها، وسجد على رأس عصاه لأنه لم يقدر أن يسجد على الأرض فسجد على رأس عصاه، فقدم سجودًا لائقًا للرب على قدر ما استطاع أن يقدم. والسجود على رأس عصاه يرمز إلى طاعة السيد المسيح للآب السماوى وهو معلق على خشبة الصليب الذى ترمز إليه عصا الرعاية.

لقد عاش غريبًا فى خيام، وتألم ودخل فى تجارب كثيرة ومتنوعة -كما رأينا- حياة كلها تعب وألم ومشقة، هكذا تكون حياة أولاد الله. ولكنه رقد على رجاء الخلاص فى آخر أيام حياته حينما وضع رأسه على فراش الموت، وانضم إلى قومه متغربًا فى أرض مصر.

افرحوا فى الرب

احذر أن تبحث على مسرة فى هذا العالم. فحتى مسرات هذا العالم تمتزج بالشقاء. وإن سمح لنا الرب بأى نوع من الفرح، فليكن فرحًا روحيًا، كما يقول معلمنا بولس الرسول: "افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ وَأَقُولُ أَيْضاً افْرَحُوا" (في4: 4).

فأولاد الله الحقيقيون حتى إن أحاطت بهم الأفراح فى بعض الأمور، لكنهم لا ينسون آلام السيد المسيح من أجل شقاء البشرية. يقولون مع المرتل: "لأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبُونَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحاً. رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيَوْنَ" (مز137: 3)، فأجابوا: "كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟ إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ تَنْسَى يَمِينِي" (مز137: 4, 5).

ونحن أيضًا الذين فى الخيمة

يقول معلمنا بولس الرسول: "وَلَيْسَ هَكَذَا فَقَطْ بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا" (رو8: 23)، "فَإِنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ فِي الْخَيْمَةِ نَئِنُّ مُثْقَلِينَ، إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا، لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ" (2كو5: 4). نحن الذين لنا باكورة الروح نئن فى أنفسنا.. لماذا؟ لأنه طالما نحن فى الجسد فنحن متغربون عن الرب.. "فَإِذاً نَحْنُ وَاثِقُونَ كُلَّ حِينٍ وَعَالِمُونَ أَنَّنَا وَنَحْنُ مُسْتَوْطِنُونَ فِي الْجَسَدِ فَنَحْنُ مُتَغَرِّبُونَ عَنِ الرَّبِّ" (2كو5: 6).

بهذا تكون نظرتنا للأتعاب والآلام إنها شركة مع المسيح فى آلامه, وشركة مع القديسين فى أتعابهم, وبهذا نفهم معنى كلام يعقوب الرسول عندما قال: "اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَّوِعَةٍ" (يع1: 2). لكن احذر أن تأخذ التجارب وتضيعها، فإنها فرصة لكى تتعلم حياة الصلاة, وحياة الشركة مع الله

بهذا يدخل بنا الرب إلى حياة بلا نهاية؛ فيها تستريح نفوسنا

مع أجسادنا. هناك نستريح ونرى، نرى ونحب، نحب ونسبِّح.

هذا ما سيكون فى النهاية التى بلا نهاية.

فإنه أى هدف نقصده لأنفسنا إلا بلوغ الملكوت الذى بلا نهاية.

**(القديس أغسطينوس)**

**صدر من هذه السلسلة**

(شخصيات من العهد القديم)

1. **بين آدم الأول وآدم الثانى**

**2- هابيل وقايين**

**3- بين ملكى صادق والمسيح**

**4- إبراهيم أب الآباء**

**5- إسحاق ابن الموعد**

**6- يعقوب أبو الأسباط**

**7- راعوث الموآبية**

**8- بين أبيجايل الكرملية وداود الملك**

**9- داود النبى والملك**

**10-داود الملك التائب**

**11-إيليا وأليشع**

**12-بين يوآش الملك ويهوياداع الكاهن**

**تحت المراجعة**

**1-**

**2-سليمان الملك (حكمته ومجده)**

1. ) **"ويصعدانى"** فى الترجمة القبطية والسبعينية. [↑](#footnote-ref-1)
2. ) انظر كتابنا القادم من هذه السلسلة شخصيات من العهد القديم (يوسف الصديق). [↑](#footnote-ref-2)
3. ) انظر كتابنا السابق من هذه السلسلة شخصيات من العهد القديم (بين آدم الأول وآدم الثانى). [↑](#footnote-ref-3)